سلسلة أطروحات فكرية - ٢١

مكتبة

44 فرصة

للملحدين والمتشككين والمؤمنين

فارس النعيمي

لن ننسى تشرين .. 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

44 فرصة

للمُلحدين والمشككين والمؤمنين

44 فرصة

للمُلحدين والمشكّكين والمؤمنين

مكتبة
t.me/soramnqraa

فارس النّعيمي

ح دار وقف دلائل للنشر، ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

44 فرصة : للملحدين والمتشككين والمؤمنين
فارس النعيمي
١٦٠ ص، ١٤×٢١ سم.
ترقيم دولي : ٤ - ٤ - ٨٥٥٤١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

مضمون الكتاب يعبر عن رأي مؤلفه
ولا يعبر بالضرورة عن رأي المركز

مركز دلائل
DALA'IL CENTRE

Dalailcentre@gmail.com

الرياض - المملكة العربية السعودية
ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥
Dalailcentre@
+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

دار تشويق للنشر والتوزيع
مصر - +٢٠١٠٦٨٤٣١٧٧٠
DarTashweek@gmail.com

تصدير

كثيرة هي العقول التي أفرزتها البشرية لتقود توجهات ملايين الناس لسنوات وسنوات، وسواء كانت تلك القيادة في الخير أو الشر إلا أن العاقل يسعى للنظر في أي منها، وعرضه على أوليات الفكر القويم والرأي السديد ليرى مدى اتساقها مع العقل والفطرة، ومدى خلوها من التناقض في ذاتها من عدمه.

ولذلك كانت الحاجة الماسة لمثل هذه السلسلة من (أطروحات فكرية).

وفي هذا الكتاب يستعرض معنا الأستاذ فارس النعيمي 44 فرصة للتفكير في صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، استناداً إلى القرآن الكريم ولغته العربية فقط، وما يحويه من إشارات منطقية وعقلية بسيطة تناسب كل أحد (خاصةً الشباب)، في زمنٍ ظن البعض فيه أن أدلة صدق القرآن تنحصر في الإشارات العلمية فقط، فيأتي هذا الكتاب صغير الحجم كبير الفائدة ليمثل فرصةً للملحدين والمتشككين للوقوف على صحة الإسلام ونسبته إلى الله عز وجل، ويمثل فرصة للمؤمنين لزيادة إيمانهم بصدق دينهم ولينبني يقينهم على مزيد علم ومعرفة.

مركز دلائل

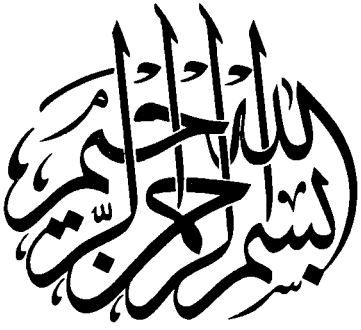
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أُهدي هذا العمل لأهلي جميعًا، وأخصّ منهم؛ جدّي عبد الرّزاق - رحمه اللهُ تعالى -، الذي كان السّببَ الرّئيسي في هدايتي وحبّي للرّسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم.

شكر

أشكرُ الله تعالى أوّلًا على منّته عليَّ أنْ وفّقني إلى إتمام هذا الكتاب،

ثمّ أشكرُ زوجتي الكريمة التي كانت تساندني معنويًّا على إكماله وتُعينني عليه، وقد وفّرت لي كلّ سبل الرّاحة من أجل إتمامه،

وكذلك أشكرُ أولادي الأربعة على تشجيعهم لي كي أنجزه، وأخصّ منهم؛ ابنتي.. التي ساعدتني كثيرًا في مراجعته وتصْحيحه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

المقدّمة

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وبعد:

لا يختلف كلّ مَن سمع بمحمّد ﷺ - سواء كان ملحدًا به وبخالقه، أو متشكّكًا بنبوّته، أو مؤمنًا بها - على المعلومات والحقائق التالية:

أنّ شخصية محمّد حقيقية.

وأنّه ولِدَ سنة 571 م في مدينة مكّة، التي تقع في الجزيرة العربية.

وأنّه كان ذكيًّا جدًّا؛ فقد استطاع أنْ يقنع قومَه بفكرته، ثمّ يؤمن بها بعد ذلك، وفي كلّ عصر - وإلى يومنا هذا - ؛ مئاتُ الملايين من البشرِ ليصبح عددُ المسلمين اليوم أكثرَ من المليار ونصف المليار مسلم.

وأنّ الكتاب الذي يسمّى «القرآن» قد جاء به محمد ﷺ.

وأنّ محمّدًا قد قال بأنّ هذا القرآن قد جاء به من عند الله.

وأنّه قال أيضًا: إنّ الله قد أنزله عليه بواسطة مَلَكٍ اسمُه جبريل.

وأنّه قد ذكر أنّ هذا الكتاب هو كلام الله.

وأنَّ محمّدًا ﷺ «ادّعى» أنّه رسول الله للنّاس كافّة.

وكلّ ذلك سيجدونه مسطورًا في القرآن.

وبإمكانهم التأكّد بسهولةٍ من نسبة هذا القرآن للعصر الذي كان يعيش فيه محمّد ﷺ، فقد أُعلِن «مثلًا» في سنة 2015 وفي مواقع عالمية عدّة؛ أنّه وجِدَت في مكتبة جامعة برمنغهام البريطانية إحدى مخطوطات القرآنِ يعود عمرُها إلى

ما قبل 1370 عامًا على الأقلّ، وذلك معناه أنّ كاتبها قد قابل محمّدًا ﷺ غالبًا، فبعد فحْصها بتقنية الكربون المشعّ تبيّن للباحثين أنّ صفحاتها ترجعُ للفترة ما بين 568 و645 للميلاد، وهي الفترةُ ذاتها تقريبًا التي عاش فيها محمّد ﷺ، وقد كانت مدّة نزول القرآن ما بين سنة 572 و 632 للميلاد، وأنّ هذه المخطوطة مطابقة تمامًا للقرآن الذي يتداوله الناس اليوم.

وخلاصةُ ما قدّمناه أعلاه هو: أنَّ محمّدًا شخصيةٌ حقيقيةٌ، وأنه قد «ادّعى» أنّه رسول الله، وأنّ القرآنَ هو كلام الله، قد أنزله الله تعالى عليه بواسطة مَلَك اسمُه جبريل.

فكيف نثبتُ أنّ هذا «الادّعاء» الذي ادّعاه محمّدٌ صحيح؟

فإنْ توصّلنا من خلال القراءة المبسّطة للقرآن، وفهمنا العام للّغة العربية، ومن دون استعمال أيّ وسيلةٍ أخرى غير هذه اللغة؛ إلى حقيقةٍ مَفادها أنّ هذا القرآن لا يمكن أنْ يقوله بشر، وإنْ كان هذا البشر مثل محمدٍ، الذي يصفونه بالرّجل الذكي، فسنتوصل حينَها - ومن خلال ذكرنا لأربعةٍ وأربعين استدلالًا منطقيًّا، يمثّل كلّ واحدٍ منها فرصةً كبيرة - إلى استنتاجٍ مَفاده: أنّ هذا الكتاب المسمّى القرآن نزل من عند الله تعالى، على الرّسول محمد ﷺ، وحينها نكون قد قدّمنا لأيّ ملحدٍ فرصةً ذهبية ليراجع إلحادَه وفكرَه للحياة وللدّين الإسلامي ولأيّ متشكّك ليؤمن ويثبُتَ على إيمانه بنبوّة محمد، ولأيّ مؤمن ليزداد إيمانًا.

فمنهجُنا المتّبع إذًا هو؛ أنّنا سنثبت أنّ محمدًا رسولُ الله من خلال تدبّر آياتٍ منتقاةٍ من القرآن؛ وذلك بتوظيفِ المنطق والعقل السّليميْن، دونَ تعصّب أو تكلّف، ومن خلال أدوات اللغة العربية بأسلوبها العام غير العميق.

ولماذا اخترنا اللّغة العربية فقط، وقد كان باستطاعتنا الاستفادة من الأحاديث والسّيرة النّبوية والرّوايات التّاريخية لاستخراج الاستنتاجات التي نريد الوصولَ إليها، ولكنّنا لم نفعل ذلك؟ السّببُ هو أنّ بعض الناس لا يؤمن بصحّة الاستدلال بالأحاديث والسّيرة النبويّة والرّوايات التاريخية؛ فلأجل أن تكون حجّتُنا على هذا الصّنف من الناس قائمة؛ اضطررنا أنْ نستعمل اللغة العربية غير العميقة لنصلَ للاستنتاجات التي نريد الوصول إليها.

فإنْ أثبتنا للعاقل السّويّ المنْصف بأنّ القرآن ليس من قول محمدٍ، بل هو من قول خالقِ محمد؛ حينها نكونُ قد أقمنا البرهان على وجودِ الخالق الذي هو الله سبحانه، ووجودِ رسولٍ له اسمّه محمد، ووجودِ القرآن الذي هو كلامُ خالقِ محمّد، الذي أُنزل عليه ليكون دستورًا ورحمةً للعالمين، وسوف نثبت كذلك من خلال آياتِ القرآن عظمةَ محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - وعظمة الإسلام، الذي ظُلِم بشكلٍ كبير من قِبَل مُنتسبيه من المسلمين، الذين لم يطبّقوا تعاليمه بشكلٍ كامل وشموليّ في حياتهم الشخصية ولا في مجتمعاتهم، وظُلِمَ الإسلامُ كذلك من قبَل غير المسلمين، الذين حكموا عليه من خلال تصرّف هؤلاء المسلمين الذين خالفوا تعاليمَه جهلًا منهم به، أو اتّباعًا لهواهم.

ولنبدأ على بركةِ الله بذكْر الآيات والبراهين العقليّة المستنبطة منها؛ للتّدليل على ما نريدُ الوصول إليه، لنقدّم الفرص التي وعدْنا القارئ المنصفَ تقديمها له.

الفرصة 1

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سورةُ البقرة، وقالَ تعالى في سورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾، وقال - أيضًا - في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾، وقال - أيضًا - في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وجهُ الاستدلال: محمّدٌ ﷺ يتحدّى، وبصوتٍ عالٍ ليسَ فيه غموض أو تأويل؛ كلّ جهابذةِ وشعراءِ وبُلغاء اللّغة العربية في ذلك العصر - وهُم كانوا أفصحَ العرب - بأنْ يأتوا بأيّ سورةٍ؛ صغيرةٍ كانت أم كبيرةٍ، تماثل أيّ سورةٍ من سورِ القرآن العظيم، مِن حيث المعنى والمبنى والبلاغة، فإنْ لم يكنْ محمّدٌ رسولَ الله بحقّ؛ فلماذا يتحدّى

كلّ هذا التحدّي؟! ألا يخشى أنْ يأتي شخصٌ ما بمثلِ ما أتى به من القرآن؟ ولوْ كان سورةً واحدة مكوّنة من عشر كلمات فقط، كسورة الكوثر مثلًا: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾، ويكون ذلك مُحرجًا له ﷺ وناقضًا لادّعائه!؛ بل فيه من المجازفة الشّيء الكبير، ولكن لأنّه لا ينطقُ عن الهوى صدحَ بهذا التحدّي الهائل أمامَ مَن يتربّص به من أباطرة اللّغة العربية من قريش وغيرها، وسيظلّ هذا التحدّي قائمًا على مرّ العصور والأزمان إلى أنْ يرث اللهُ الأرض ومَن عليها، ومعَ ذلك لم يستطعْ - ولنْ يستطيع - أيّ بليغٍ من علماء اللّغة العربية، لا في القديم ولا في الحاضر ولا في المستقبل؛ أنْ يتجاوز هذه الحقيقة، وذلك لأنّ القرآن هو كلامُ الله - عزّ وجلّ -، وليس مِن قول سيّد البشر ﷺ.

الفرصة 2

قالَ تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا.....﴾(سورة المائدة الآيه: 64) إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة المائدة الآيه: 3)، وقال تعالى - أيضًا - في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(سورة البقرة الآيه: 51)

مفهومُ الآية، وملخّصُها: هذه الآيةُ - وما قبلَها - تخاطب اليهودَ، وتوبّخهم توبيخًا فاضحًا بأوضحِ عبارة، وتقرعهم تقريعًا كبيرًا، وتخطّئهم أمامَ الملأ على أفعالهم وأقوالهم الشّنيعة.

والشّاهد هنا: ألّا يثير ذلك حفيظةَ وعداوة اليهود عليه ﷺ، ويجعلهم يستعجلون بالقضاءِ عليه؟ لو كان الأمرُ برأيه ﷺ لكانَ مِن الأوْلى ظاهرًا عدمُ التعرّض لليهود بأيّ تجريح؛ وذلك لكسب ودّهم والتّحالفِ معهم مثلًا، وخاصّة أنّه ﷺ قد لجأ إلى المدينة هوَ وأصحابه بعد أن أخرجَهم أهلُ مكّة منها، ونالوا تعذيبًا وتنكيلًا منهم، ولم يقبلْ دعوةَ رسول الله ﷺ سوى قبيلتي الأوس والخزرج، وهُما من القبائل التي تسكنُ المدينةَ آنذاك، ويسكن المدينة حينها أيضًا ثلاثُ قبائل قويّة من اليهود، الذين كانوا يمسِكون العصبَ المالي في المدينة وقتها،

ولهم حصونٌ منيعة تحْميهم.

ولكنْ لأنّ محمّدًا ﷺ لا ينطقُ عن الهوى، فليسَ بيده تأجيل النّطق بأيّ آيةٍ نزلت عليه؛ لذلك قدْ صدح بما نزل عليه من عند الله، وذلك لأنّه رسولُ الله تعالى، وما عليه إلّا تبليغُ ما يوحَى إليه، لكوْنه يؤمن بأنّ كلام الله المنزّل عليه هو الحقّ المبين والصّراطُ المستقيم، وفيه الخيرُ كلّه، وإنْ بدا له غيرَ ذلك في ظاهره.

الفرصة 3

قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (سورة البقرة: 61).

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يبيّن اللهُ - سبحانه - بهذه الآيات الواضحاتِ إنّ بني إسرائيل سترافقُهم - بسبب أفعالهم - عواقبُ سوء، سيُعرَفون بها دونَ غيرهم من الشعوب، وهي أنّهم سيعيشون أذلّاء يطلبون الحمايةَ من غيرهم دائمًا، متمسْكنين متملّقين.

المتتبّع للتّاريخ إلى يومنا هذا سيجدُ هذا الوصف منطبقًا عليهم باطّراد إلّا قليلًا، وما ذلك إلّا لأنّهم يتّصفون بصفتين دنيئتين لم تفارقهم حيثما وجدوا، وهما؛ فعلُ وابتكار المعاصي، وقتلُ المصلحين من الناس. والتّاريخُ يشهد على ذلك باطّراد.

والشّاهدُ هنا: أنّ اليهود عاشوا، وسيعيشون أذلاءَ متمسْكنين عاصين مُعتدين؛ فيه مجازفةٌ مستقبلية على صدق محمّد ﷺ، فمَن الذي يضمن أنّ اليهود سيبقون على هذه المواصفات أبدَ الدّهر؟ ربّما سيتغيرون حتّى في أثناء حياة الرّسول ﷺ، وبذلك سيقع الصّادقُ الأمين في حرجٍ كبير أمامهم وأمامَ كلّ الناس.

ومِن جهة أخرى، فإنّ التّصريح بهذا الأمر لَعَظيمُ الخطر عليه وعلى دعوتِه، خاصّةً وهو يعيشُ بينهم، ممّا يزيد حنقهم عليه، وتحدّيهم له ليثبتوا أنّه ليس رسول الله، فالمفروض من بابِ الحسابات الدّنيوية لبشرٍ طبيعيّ أن يؤجّل التّصريح بهذه الأوصاف لحين تمكّنه منهم.

ولكنّه كلامُ الحكيم العليم، الذي يعلمُ وحده واقعَ اليهود حينها، وكيف يكونُ مآلهم، وما هي صفاتُهم على وجه الحقيقة.

الفرصة 4

قولُه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ..... ﴾(سورة البقرة الآيه: 67) إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾(سورة البقرة).

مفهومُ الآية (76)، وملخّصُها: هنا يدورُ حوارٌ بين زعماء اليهود ومنافقيهم، الذين كانوا حينما يلاقونَ الصّحابة يُظهِرون إيمانَهم بدعوة الرّسول محمد ﷺ، ويستدلّون على ذلك بأنّ التّوراة قد ذكرت معلوماتٍ بشأن الرسول القادم الذي تنطبق مواصفاتُه على محمّد ﷺ، والدين الذي سيأتي به، كما في سورة الأعراف: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ وكما قال في (سورة الصف الآيه: 6): ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾، ولكنْ حينما يعودون

لزعمائهم، يقولون لهم إنّا معكم، فينزعج الزّعماءُ مِن فعلهم بأنّهم قاموا بالإفصاح عمّا هو موجودٌ في التوراة بشأن نبوّة محمّد ﷺ، بحجّة أن ذلك الإقرارَ سيكون حجّةً عليهم يومَ القيامة أمام الله تعالى.

والشّاهدُ هنا: أمامَنا احتمالان لا ثالثَ لهما؛ الأوّل: أنْ يكون نعتُه - صلّى الله عليه وسلّم - موجودًا في كتب اليهود، وبذلك ينتهي الموضوع، فهو رسولُ الله حقًّا وصدقًا، وقد حصل المطلوبُ بأنّه رسولُ الله، ولا يستطيعون إخفاءَ ذلك عن النّاس فضلًا عن أتباعهم، والثاني: أنْ يكون نعتُه ليس موجودًا في كتبِهم، وهو كاذبٌ بادّعائه أنّه رسول الله، وهنا يتوجّه سؤالٌ صعبٌ للغاية، ألَا وهو: كيف لمحمّد ﷺ أن يخاطرَ باختلاق ذكرِ نعتِه في التّوراة أمام اليهود؟ ألا يخشى مِن تكذيبِهم له؟ وذلك بأن يتحدّوه أمام الناس، ليثبت ذلك عيانًا لهم، فعندها سيقع محمّدٌ ﷺ في إحراجٍ كبيرٍ هو في غنًى عنه.

هذا مِن جهة اليهود، أمّا من جهة مشركي مكة ومَن معهم؛ فسيكون - أيضًا - هناك احتمالان اثنان؛ الأوّل: إنّه من المنطقي أنّهم سوف يقرؤون كتبَ اليهود والنصارى لينْقُضوا ما وردَ في الآيات أعلاه من إشاراتٍ أو معلوماتٍ متعلقة بانطباقِ مواصفات النّبي القادم، والتي ذُكِرت في تلك الكتب على محمّدٌ ﷺ، فإنْ وجدوا ذلك ثبتَ أنّه رسول الله، وهو المطلوب، أسلموا أم لم يسلموا. وأمّا الاحتمال الثاني: أنّهم سوف يقرؤون كتبَ اليهود، ولا يجدون الوصف المذْكور في تلك الكتبِ للنّبي القادم مطابقًا لمواصفات محمد ﷺ، والذي ذكرتْ إحدى الآيات أعلاه أنّه سيأتي بعد عيسى - عليه السلام -، واسمه أحمد، وهنا سيقع محمد ﷺ في إشكالٍ كبير، الآية تتكلّم عن وجود وصف للنّبي القادم في كتب اليهود، والواقع لا يؤيّد ذلك، فالمفروضُ عليه ﷺ لو كان الأمرُ من عنده ألّا يحرج نفسَه بذكر هذه الآيات، وهو غيرُ مضطرّ لها.

الفرصة 5

قالَ تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ .....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ سورة البقرة.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: هذه الآيات (من الآية 40 وحتّى الآية 159، وما بعدها، بشكلٍ مُفرّق)، تُذكر قصصَ اليهود بصورةٍ عامّة، وبصورةٍ مفصّلة في بعض الأحيان، وتعالج في ثنايا ذلك أخطاءهم، وتوبّخهم وتأمرهم وتنهاهم وتفضحُهم في أشْنع أفعالهم مِن قتلهم للأنبياء واتّباعهم لأهوائهم بعد أنْ جاءهم الحقّ على لسان موسى عليه السّلام.

والشّاهدُ هنا: كانتْ لليهود في الماضي القريب، من عهد رسول الله، وقبل نزول تلك الآيات، أي قبل مجيء محمد ﷺ إلى المدينة؛ الكلمةُ والنّفوذُ فيها، فهم يتحكّمون باقتصادها، ولهم ثلاثُ قبائل عريقة فيها: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة.. ولهم تحالفاتُهم مع مَن حولهم مِن اليهود وغيرِ اليهود خارجَ المدينة، كيهودِ خيبر وغيرهم، فكيفَ لمثل محمّد ﷺ، الذي هاجر إلى مدينتهم، والذي تبرّأت منه عشيرته، وليس له

مالٌ أو سلطة موروثة معلومة؛ أنْ يخاطب مَن هُم أهل الدّار والنّفوذ والمال والسّلطان والامتداد، أنْ يخاطبهم بهذا الخطاب التّوبيخي العاصفِ المعُري؟ ألا يخشى محمد ﷺ مِن تكثير أعدائه؟ لماذا لا يؤجّل حينها هذا الخطابَ الآمر النّاهي الموبّخ والفاضحَ لهم، يؤجّله بعض الشيء إلى أن يتمكّن، إنّ أيّ أحدٍ مكانه سوف يعمل بمبدأ المهادنة معهم، فاليهودُ أهل كتاب، ومن باب الحساباتِ البشرية ألّا يقوم محمّدٌ بتسفيه عقائدهم، فعليه أن يكسبَهم إلى جانبه في معركته ضدّ أهلِ مكّة، ومَن حالفهم مِن المشركين، لا أنْ يستثيرهم بفضح سوء أفعالهم، ويثْبِت ذلك في الكتاب الذي يقول عليه أنّه من عند الله تعالى..

ولكنّه مكلّف بالبلاغ وحسب، ليس الأمرُ متعلّقًا بحسابات بشريّة، متى يقول.. ومتى لا يقول، نزلت عليه الآياتُ فنطق بها غيرَ آبه بأحد، حتّى لو اجتمع عليه الأنس والجن على أن يمنعوه تبليغَ كلام الله لن يفعل، حتّى لو توصّل بحساباته، أو حسابات صحابته، إلى أنّ كلامه سوف يؤدّي لمقتله، أو طرده ومَن معه مِن المدينة، لن يفعل، فهو الصّادح بالحقّ في الزّمان والمكان الذين يختارهما الله سبحانه، وهو يعلم بأنّ الله تعالى يختار له الخير، ويُنزل عليه من القرآنِ ما يُناسب واقعَ الحال الذي هو فيه بما يحقّق تطوّر الدّعوة نحو التّمكين والقوّة؛ فاللّهمّ صلّ وسلّم على الصادق الأمين.

الفرصة 6

قالَ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ سورة الجمعة. وقال - أيضًا - في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

مفهومُ الآيات، وخلاصتُها: الله - سبحانه وتعالى - يأمر نبيّه الكريم ﷺ أنْ يقول لليهود، إذا كنتم تَدَّعون أنّ الجنة هي لكم خاصّة من دون الناس فتمنّوا الموت إنْ كنتم صادقين، ولكنّهم لن يتمنّوه بسبب ما اقترفوه من المعاصي والآثام والظلم.

والشّاهدُ هنا: إنْ تنفيذ هذا الطّلب في غاية السّهولة، وهو أنْ يتمنّى اليهود الموتَ ليثبتوا أنّهم صادقون في دعواهم بأن الجنّة خاصّة لهم من دون النّاس، هذا في الآية الأولى من النّص الأوّل، أمّا الآية الثّانية من النّص الثاني؛ فإنها تنفي نفيًا قاطعًا مؤبّدًا أن يتمنّى اليهود الموت، فطلبُ تمني الموت من اليهود.. ثمّ النّفي المطلق بأنّهم سيقومون بذلك؛ فيه مجازفة كبيرة، فهناك احتمالٌ كبير أنْ يقوم اليهودُ الذين يسمعون هذه الآية بتمنّي الموت علانية ليثبتوا كذبَ محمد ﷺ الذي تحدّاهم في ذلك، وبالتّالي سيقع محمّد ﷺ في حرج كبير هو في غنًى عنه.

هلْ هو مضطرّ لهذا التحدّي؟ ماذا ترى أيّها القارئ العزيز؟

الفرصة 7

قالَ تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾(سورة البقرة الآيه: 145).

مفهومُ الآية، وخلاصتُها: يقولُ الله - سجانه وتعالى - لنبيّه محمّد ﷺ، أنْ يا محمّد: لو جئتَ اليهود والنّصارى بالبراهين والأدلّة الدّامغة على صدق نبوّتك لأجل أن يتبعوا قِبْلتك، لن يتحوّلوا عنْ قبلتِهم إلى قِبْلتك أبدًا، وكذلك لن يتحوّل النّصارى تجاه قِبْلة اليهود، ولا يتحوّل اليهود تجاه قبلة النّصارى أبدًا، وكلٌّ سَيَبقى على قِبْلته، قِبلة اليهود تجاه الغرب، وقِبلة النّصارى تجاه الشّرق، وقِبلة المسلمين تجاه الكعبة التي في مكّة.

والشّاهدُ هنا: أليسَ في هذا الكلام مجازفةٌ كبيرة ومخاطرة؟ فهذه الآيةُ قد سمِعها كلٌّ مِن اليهود والنصارى حينما أُنزِلَت، وسيقرؤها أو يسمعها كذلك اليهودُ والنّصارى على مرّ الدّهور، فيستطيع أيّ طرف منهم، أو أيّ فردٍ ذكي، أن يتواطأ مع أصحابه كي يتوجّهوا تلقاء قِبْلته ﷺ، أو اتجاه قِبْلة النّصارى، إنْ كان يهوديًّا، أو تجاه قِبلة اليهود، إن كان نصرانيًّا، كيدًا بمحمّدٍ، وتكذيبًا له، وتشكيكًا بما أُنزِل عليه مِن القرآن، ومِن ثمّ تبطُل دعوى الآية، فيقع محمّدٌ ﷺ في حرجٍ كبير غير مضطرّ إليه عليه الصّلاة والسّلام.

ولكنّها آيةٌ مُحكمة من عند علّام الغيوب، الذي يعلم أن اليهودَ والنّصارى لن يتّبعوا قِبْلة محمّد ﷺ، لا حقيقة ولا خديعة، ولن يتبع بعضهم قِبْلة بعض.

وقولُه تعالى في نهاية الآية:..... ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (سورة البقرة)، هنا يخبر الله - سبحانه وتعالى - نبيّه ﷺ أنّه سيصبح من الظالمين فيما لو أطاعَ اليهودَ والنّصارى إذا توجّه نحو قبلتهم، بعد أنْ عرّفه الله سبحانه بالقِبْلة الحقّ التي يتوجّب أن يتوجّه إليها.

وهنا شاهدٌ آخر: لا يمكنُ لعاقلٍ أنْ يدّعي أنّ هذا الكلام هو مِن قول محمّد ﷺ، إذ كيف يقطع محمد ﷺ على نفسِه هذه المناورة السياسيّة، وهو ذلك القائد المحنّك العبقري، ومِن مصلحته أنْ يكسب ودَّ اليهود والنّصارى ليكفّوا عن أذاه، أو على أقلّ تقدير أن يؤجّل المعركة معهم ريْثما يتغلّب على مشركي مكّة ومَن حالفهم، فكان باسْتطاعته مثلًا أن يتوجّه نحو قِبْلة النّصارى شهرًا، ونحو قِبْلة اليهود شهرًا آخر؛ تأليفًا لهم وتقرّبًا منهم، ولكنه لم يفعل ذلك، بل يصف نفسَه بالظّلم فيما لو توجّه نحو قِبْلة اليهود أو قِبْلة النّصارى.

إنّه تدبيرُ علّام الغيوب، فهو وحدَه سبحانه يعلم ما هي المصلحةُ في توجيه مثلِ هذا الخطاب في تلك الفترة لأهل الكتاب، والتي قدْ تخفَى على أيّ بشر ابتداءً، مهْما كانت حنكتُه السّياسية كبيرة، ومهما كان عبقريًّا.

الفرصة 8

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ سورة البقرة.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يخبر اللهُ تعالى أنّ علماء أهل الكتاب يعرفون صحّةَ ما جاءهم به محمّد ﷺ، وما هي صفتُه، مثلما يعرف أحدُهم ولده.

والشّاهدُ هنا: أنّه لو جاء أحدٌ من المشركين إلى أحد علماء أهلِ الكتاب، وسأله عن ادّعاء محمد ﷺ بأن صفته مذكورةٌ في كتبهم، وأنّهم - أي علماء أهل الكتاب - يعلمون ذلك حقًّا يقينًا، فسيكون عندنا احتمالان اثنان: إمّا أنْ يعترف علماءُ أهلِ الكتاب بذلك، وهذا سيّدُ الأدلة على أنّ محمّدًا ﷺ هو رسولُ الله حقًّا وصدقًا، وهو المطلوب، وإمّا سيُكَذِّبُ علماءُ أهل الكتاب محمّدًا - صلّى الله عليه وسلّم - ويتّهموه بالافتراء على كتبهم (حاشاه)، وهنا سيقع محمّد ﷺ في حرجٍ شديد، فكيف يثبتُ أنّ صفته مذكورةٌ في كتب أهل الكتاب وقد كذّبه علماؤهم، فكان من المنطقيّ بحسابات البشر ألّا يقول محمّد ﷺ أنّ صفته موجودةٌ في كتب أهل الكتاب، وأنّهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، حتّى لا يكذبونه ويحرجونه، وهو ليس مضطرًّا لذلك الحرجِ الكبير فيما لو ادّعى ذلك.

ولكنّ ذلك ليس بيديه، فليس له أنْ يكتم ما أنزل الله سبحانه عليه، وإنْ ظنَّ أنّ ذلك سيوقعه بالحرج والتكذيب من قِبَل خصومه.

الفرصة 9

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (سورة البقرة).

مفهومُ الآيات، وخلاصتُها: على المؤمنين أنْ يصوموا شهرًا كاملًا، وهو شهرُ رمضان، حالهم حالُ الذين كانوا من قبلهم مِن الأمم الأخرى التي بعثَ الله إليها رسلًا من عنده سبحانه.

الشّاهدُ هنا: لوْ كانت هذه الآيات من قول محمّد ﷺ، والتي فُرِضَ فيها الصّيام على جميع المسلمين البالغين، إلّا المعذورين منهم، كالمرضى والمسافرين، أو عدم توفّر القدرة البدنيّة والصّحية للكبير منهم، لو كانت هذه الآيات من صنع محمّد ﷺ، فلسائلٍ أنْ يسأل: ما الذي دعا محمدًا ﷺ لقول ذلك، وهو في ذات الوقت يريد أن يُرغّبَ النّاسَ في الإسلام، والدّخول فيه؟ شهرٌ كاملٌ يصومه المسلمون، ويمتنعون فيه عن الأكل والشرب والجماع، أمرٌ شاقّ جدًّا، شهرٌ كاملٌ وليس أيامًا قليلةً أو

أسبوعًا أو أسبوعين، وليس لوقتٍ قصير أثناء النّهار أو أثناء الليل، وإنما شهرٌ كاملٌ، من الفجر لغاية المغرب، أي النّهار كلّه، ولو كان عشرينَ ساعة، عبادةٌ مرهقةٌ إذًا، وكان لزامًا أن يمتثل محمّد ﷺ بها أولًا كي يمتثل باقي المسلمين بها، لأنّه قدوة في نظرهم، فقد ذكر اللهُ تعالى في كتابه آية من سورة الأحزاب تدلّ دلالةً قاطعة على أنّ محمّدًا هو رسول الله، وهو قدوةٌ للمؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(سورة الأحزاب الآيه: 21)، فلماذا يحمّل محمّد ﷺ نفسه مشقّة هذه العبادة؟ لماذا يفرضُ على نفسِه هذا الأمر؟ ما الذي يضطرّه لذلك؟

فلوْ كان فرضُ الصّيام وكيفيتُه صيامًا عن الطعام والشراب والجماع شهرًا كاملًا من الفجر إلى المغرب؛ هو مِن تأليف محمّد ﷺ لقالَ قائل: كان على محمّد ﷺ أن يخفّف الأمر حتّى لا يشقّ على نفسِه وعلى الناس، فربما لا يستطيع غيرُه أن يمتنعَ عن الأكل والشّراب والجماع مدّة شهر كامل، فيكون ذلك سببًا لامْتناعه عن الدّخول في الإسلام، بحجّة أنّ هذا الدّين الجديد فيه مشقّة، وفي حسابات البشر هي مشقّة كذلك.

ولكنّ أمرَ فرض الصيام، وبهذه الكيفيّة، ليس هو من عند محمّد ﷺ؛ بل هو مِن عند مَن يعلم ما يصلح نفوس النّاس، وما يطيقونه من الصّيام في حالاتهم الطبيعية، وليس ذلك إلّا للّذي خلق تلك النّفوس وأجسامها، وهو أعلم بما تطيق.

الفرصة 10

قالَ تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾(سورة آل عمران الآيه: 92)، وقال - أيضًا - في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(سورة البقرة الآيه: 267)

مفهومُ الآيتيْن، وملخّصُهما: في الآية الأولى يخبرنا الله - سبحانه وتعالى - بأنّنا لن ننالَ الخير الموصل للجنّة حتّى ننفق مِن أحبّ ما نملك، وفي الآية الثّانية يأمرنا الله تعالى أن ننفق أطيبَ ما نملك، ولا نُنفق الشّيء الرّديء؛ الذي لو عُرِضَ علينا لاستنكفنا عن أخذه.

الشّاهدُ هنا: الإنسانُ بطبعه يحبّ ما يملكه، ويحبّ أن يبقى ما يملكه عنده، فكيف والتّوجيهُ في هذه الآية هو تسليمُ شيء ممّا يحبّه ذلك الإنسانُ لغيره دون أيّ مقابل، حتى وإن كان هذا الغير لا يعرفه ذلك الإنسان المُنفِق، وحيث أنّه يوجد آياتٌ كثيرة في القرآن تأمر المسلمين بأنْ يجعلوا محمدًا ﷺ قدوتَهم، وهذا يعني أنّه يجب على محمّدٍ ﷺ أن يكون - فعلًا - قدوةً لجميع المسلمين، بل والنّاس أجمعين، ومِن ثمّ عليه أنْ يبتدئ هو بنفسه دومًا - وأبدًا - بالإنفاق ممّا يحبّ هو وأهله، ومِن أطيب ما يحبّ، أليس في ذلك مشقة كبيرةٌ على نفسه؟ لماذا يُصعّب محمّد ﷺ على نفسه الأمرَ بهذا الشّكل؟ ألا يكفيه ما هو فيه؟ وكذلك فيه مشقة على

مَن يقتدي به، فهذا الأمرُ ممّا لا تحبّه النّفوس البشرية، المجبولة على حبِّ الأشياء المملوكة لها.

فهلْ هذا الأمرُ من تأليف محمّدٍ واجتهاده البشري؟ أم هو توجيهٌ من خالقه، الذي يريد أنْ تُقَوّم النّفسُ البشرية بالشكل الذي تكون قابلةً لبناء هذه الأرض بالرحمة والعدل والإحسان؛ لأنّه وحده أعلمُ بها، فهو الذي خلقها ويعلم بشكلٍ مطلق أسرارَها وكنهَها، وما ينفعُها وما يضرّها على وجهِ الحقيقة، ويجلبُ لها السّعادة في الدّنيا، وفي الحياة الأخرى.

الفرصة 11

قالَ تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة النساء)

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: هاتان الآيتان تتكلّمان عن قوانين تخصّ علمَ المواريث بتفصيلٍ دقيق، ونسبٍ مخصوصة، وتفريعات محسوبة، تعالج أمرَ التّركة، وما يلحقها من حقوقٍ لصاحبها الميّت، ولمن يستحقّها مِن الورثة، بالشّكل الذي يقيم العدل بين جميع مَن تعلّقت به هذه التّركة، بحيث تَحسِمُ الأمر، ولا تجعلها متروكةً لاجتهاداتِ أصحابها، فربما يختلفون ويتنازعون بسببها.

الشّاهدُ هنا: لوْ تفحّصنا الآيتين أعلاه، وهي من آيات المواريث لوجدْنا أنّ فيها عشرات الأحكام والقوانين المتعلّقة بالإرثِ والوارثين، ومثل هذه القوانين والإرشادات والأحكام المفصّلة موجودةٌ في آيات الطّلاق والنكاح والعقود، والسّلم والحرب، ومعاملة الأمم الأخرى، والمعاملات المالية، وغير ذلك؛ بحيث قد تصل أعدادها إلى المئات وربّما أكثر، تؤسّس بمجموعها مفاهيمَ جديدةً: اجتماعيّةً واقتصاديّةً وسياسيّةً وعسكريّة، لم تعهدها الجزيرة العربيةُ من قبل، بل ولا حتّى الأمم الأخرى بهذا الشمول والتوسّع الذي يشمل كثيرًا من مناحي الحياة، فقد كان العرفُ القبليّ البدائي السّائد في عصره - صلّى الله عليه وسلّم - هو مَن يحكم الأمور، وممّا لا يخفى فإنّ الجزيرة العربيّة كانت في حينها متخلّفة جدًّا في كلّ النواحي السّياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، حتى إن إمبراطوريتي فارس والرّوم في تلك الفترة لم يعيروا أيّ أهميةٍ لمنطقةِ الجزيرة العربية لتخلّفها وبدواتها، ولأجل ذلك لم يعيّنوا ممثلًا دائمًا لهم فيها، ولكن كانوا يرسلون عند الطلب شخصًا يحلّ الإشكالات في حالة التّنازع والحروب التي كانت دائمًا تدورُ بين قبائل الجزيرة العربية لأبسط الأسباب، كما في حرب داحس والغبراء التي حدثتْ بسبب حصان واستمرّت ستّين عامًا.

فكيفَ لشخص ولِدَ في هذه البيئة المتخلّفة، وعاش كلّ عمره فيها؛ أنْ يفاجئ العالمَ باستحداث قواعد محكمةٍ، وأحكامٍ منظّمةٍ للجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الإنسانية، وفيها توجيهاتٌ وإشارات للجوانب السياسية والأمنية والعسكرية؟!!

فلنعدْ بمخيّلتنا إلى ما قبل ألفٍ وأربعمائة عام، ولنتصوّر أنّنا عشْنا في تلك الفترة، وفي تلك المنطقة من العالم، وهي المنطقة الصّحراوية

القاسية؛ حيث تسودُ البداوة والنزاعات والجاهلية العمياء، فيظهر شخصٌ كان يتيمًا وراعيًا للغنم في صغرِه، وبعدها أصبح يعمل بالتّجارة عند امرأة ثرية من مكّة، كيف لهذا الشّخص أن يبدعَ قوانين محكمة وموجهات، وقواعدَ كلية وإرشادات تفصيلية؛ تتناول الجوانبَ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والعسكرية والبيئية والعلمية؟! لا يمكن لبشر مهما كان عبقريًّا أنْ ينجز هذا الإنجاز الخارق، هذا فوق قدرة البشر، فهو لا يندرج تحت سلّم التّطور الطبيعي للأشياء، فمن الجاهلية العمياء والتخلّف المطبِق في جزيرة العرب؛ إلى إصدار أوامر وتعليماتٍ وإرشاداتٍ شاملة لكلّ جوانب الحياة بما يؤسّس لنهضة حضارية فارقة.

محمّد ﷺ لم يطلق فكرةً وحسب، بل أطلق فكرةً ودستورًا وقوانينَ وإرشاداتٍ؛ كانت كلّها جديدةً في ذلك الزّمان وذلك المكان، ولقد عاش كلّ عمره في تلك البيئة القاسية المتخلّفة، ولم يطّلع على حضارات ذلك الزمان، ربما سَمِعَ بها؛ ولكنْ لم يعش فيها، وبالتّالي كيف له أنْ ينقلها إلى واقعه الذي يختلف اختلافًا كليًّا عن واقع تلك المجتمعات، كمجتمعي إمبراطورية روما وإمبراطورية فارس، وبالتالي فلم يكنْ محمّد ﷺ مخترعًا، من عقله وتجربته، لكلّ هذه المنظومة المعقّدة من القوانين والقواعد والتّوجيهات، بل جاء بها من عند الله الحكيم العليم.

ومِن جهةٍ أخرى، لماذا يقوم محمّد ﷺ بإبداع كلّ هذه المنظومةِ التي سوف تصعّب المهمّة عليه؟ فالذي يريد أن يتّبعه النّاس عليه أن يُسهِّل على نفسه وعليهم ما جاء به إليهم، إذا كان محمّد ﷺ يريد أنْ يقود النّاس لغرض في نفسه بحجة الإصلاح، كان عليه أنْ يخترع بعض القوانين والإرشادات البسيطة التي تجعل النّاس يتبعونه دونَ الدّخول في التفاصيل

الكثيرة المتعلّقة بالزّواج والطّلاق والبيع والشراء والميراث وغيرها؛ التي تثقل حياةَ النّاس في ظاهرها، ويندرج تحت هذا الموضوع العباداتُ أيضًا، أحكام وأوامر ونواهٍ؛ كفقه الطهارة وفقه الصّلاة، وفقه الزكاة، وفقه الحج، وفقه الصيام، وغير ذلك من العبادات، وكذلك في تحريم المحرمات؛ كتعاطي الخمر، الذي كان يحبّه أهل مكّة حينها كحبّهم للماء وأكثر، وتحريم الزّنا والرّبا، والعديد من المحرمات الأخرى، كلّ هذه الأوامر؛ التي تتناول مجملَ الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والأمنية، ومئات الأوامر التي تتعلق بأحكام العبادات والمعاملات، والأوامر المتعلقة بالنواهي عن فعلِ ما كان يفعله النّاسُ في تلك الفترة، كلّ ذلك مما يؤسّس لحياةٍ جديدة مختلفة تمامًا عن الحياة السّائدة آنذاك، ما الذي يجعل محمّدًا ﷺ يتحمل كلّ هذا العنت والتعب في مواجهة تخلّف المجتمع الذي يعيش فيه؟ لقد أدخل نفسه بتفريعاتٍ لتنظيم الحياة تَصعُب على قدرة البشر، وهذا يقودُنا للمنطق والعقل الذي يحيلنا للحقيقة التي نكرّرها دائمًا، وهي أنّ كلّ ذلك لم يكنْ من تدبيره ولا تفكيره ولا علمِه، وهو العالمُ صلّى الله عليه وسلّم؛، ولكنْ هو مِن تدبير خالقِه - سبحانه - الذي اختارَه لتبليغ رسالته للنّاس كافّة، بلا زيادة أو نقصان، فأدّى هذه الأمانة كما يريدها منه سبحانه، فأصبح بذلك رحمةً للعالمين.

الفرصة 12

قالَ تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة النساء الآيه: 84).

مفهومُ الآية، وملخّصُها: في هذه الآية أمرٌ من الله سبحانه موجّه لمحمّدٍ ﷺ أنْ يقاتل الكفّار، حتّى ولو كان لوحده، ويقوم - أيضًا - بتحريضٍ من حوله من المؤمنين على قتالِ الكفّار المعتدين، فعندها سينصر الله - سبحانه - رسولَه ومَن قاتل معه من المؤمنين.

والشّاهدُ هنا: هل يُعقل أنْ يأمر شخصٌ نفسه بقتال أعدائه ولو كان وحده، وهو يعلم مِن نفسه أنّه كاذب بزعمه أنّه رسولُ الله؟! وهو كقدوةٍ مطلوبٌ منه أن تصدق أقوالَه أفعالُه، ومعنى ذلك أنّ محمّدًا ﷺ يوجب على نفسه أن يواجهَ ويقاتلَ كلّ الكفار حتّى لو كان وحده، أليست في ذلك مجازفةٌ عظيمة ومخاطرةٌ غير محسوبة العواقب لأيّ بشر عاديّ بالمقياس البشري المجرّد؟ ما الذي يضطرّ محمدًا ﷺ على قولِ هذا القول، وإحراج نفسِه هذا الإحراج؟ أليس في ذلك تشديدٌ على نفسه أيّما تشديد؟ ما الذي يدعوه لذلك؟

فكّر أيّها القارئ المنصف بما ذكرنا، وأعِدْ تقييمك لمحمد.

الفرصة 13

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ سورة النساء.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: هذه الآية تتحدّث عن صلاةِ الخوف، وهيئتها، لا نريد أنْ نخوض في تفاصيلها فهي متشعّبة، ولكنّها تشير بصورةٍ عامّة إلى أنّ صلاة الفريضة تصلّى جماعةً حتّى في وقت الحرب، وبوجود الخوف من العدو.

إحدى صور هذه الصّلاة؛ هي أنْ ينقسم الجيش قسمين ويتبادلوا أدوارَ حركات الصّلاة، وغير ذلك من التفاصيل.

والشّاهدُ هنا: لِمَ كلّ ذلك؟ هل يعقل أنْ يأمر قائد الجيش في وقتِ المعركة قواتِه على أداء عملٍ ليس من جنس القتال ولا حتّى التّدريب عليه، وفيه وضعيّة عدم الاستعداد للقتال بما يوازي استعدادَ القوات المعادية المقابلة، وفيه البعد ولو قليلًا عن السّلاح أو وضعية عدم التجهّز في استعماله؟ كان ممكنًا أنْ يؤدّوا الصّلاة فرادى، ولا حاجة لصلاة

الجماعة، وهُم في تلك الحالةِ من الاستنفار والتحفّز للمعركة والخوف من العدوّ وطلب الظّفر عليه، المفروض على القائد العسكري أنْ يضع كلّ جهدِ قوّاته وتركيزهم على القتال، كي ينتصر على عدوّه وعدوّهم، ولا يشغلهم بشيء آخر.

هل يمكن لمحمّدٍ أنْ يوجّه قوّاته بمثل هذا التّوجيه باجتهاده الشّخصي؟ إنّه مخالف لما ساد من اجتهاد القادة العسكريين في وقتِ المعركة وقبيلَ الالتحام بقوات العدو، فمن أين جاء بهذا التّوجيه الذي يجمع بين عبادةِ أداء صلاة الجماعة مع الاستعداد للدّخول في معركةٍ مع قوّات العدوّ المتربّصة؟! لا يمكنُ لاجتهادِ بشر أنْ يتوصّل لهذا الجمع، فما بقي إلّا أن نقول إنّه أمرُ الله الحكيم العليم، الذي يعلم أنّ أداء صلاة الجماعة - حتّى في وقت الخوف من العدو - هو أفضل للجنود، ولنتيجة المعركة. وهذا الأمرُ لا يمكن لبشر أن يدركَه، فعالم الأسباب الماديّة يرشد لغير ذلك، ولكن هو أمر الله الذي يعلم السّر وأخفى.

الفرصة 14

قالَ تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ سورة النساء.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: في هذه الآيات الكريمات ينهى الله - سبحانه - رسولَه ﷺ أنْ يدافع ويجادل عن الذين تبيّن له أنّهم يختانون أنفسهم، أي الذين تتكرّر منهم الخيانة، بل والقصدُ والتعمّد في فعل الخيانة والتلبّس بها.

والشّاهدُ هنا: هل يُعقل أنْ يوجّه شخص لنفسه لومًا بهذا الشّكل، وأمامَ النّاس كافة - الدّفاع عن الذين يختانون أنفسَهم (أي يتلبّسون بالخيانة) -، ويكتب في ذلك قرآنًا يتلى إلى ما شاء الله!؟! هل هو مضطرّ لذلك؟ لماذا يقوم شخص مثل محمّد ﷺ بوضع نفسِه في هذا الموضع؟ ما الداعي لذلك؟ لماذا لم تأتِ الآيةُ بصيغة أخرى؟ مثل: "ولا تجادلوا عن الذين يختانون أنفسهم....."، وينتهي الموضوع، ويحصلُ المرادُ من دون أن ينتقدَ محمّدٌ ﷺ نفسه ابتداءً، ويُفْرِدَ لنفسه انتقادًا بهذا الشّكل "ولا تجادل"، هل يعقل أنّ شخصًا يدّعي أنّه رسولُ الله وحبيبُ الله، ومع ذلك يوجّه لنفسه توبيخًا هو في غنًى عنه؟

كنْ مكانه، وازْعمْ أنّك رسول الله، هل ستفعل فعلَه!؟! فكّر قليلًا؛ وستجدِ الجواب.

الفرصة 15

قالَ تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ سورة النساء.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: هذه الآية تنفي أنْ يكون عيسى - عليه الصّلاة والسّلام - قد صُلِبَ وقُتِل، بل الصحيح أنّ الله تعالى قد رفعه إليه، والذي صُلِب وقُتِل إنّما هو شبيهُه، ولكنّ أكثر النّصارى اعتقدوا أنّ الذي صُلِب وقُتِل هو عيسى عليه السّلام، وذلك ظنٌّ منهم.

الشّاهدُ هنا: دعوة محمّد ﷺ شاملة لكلّ الناس، بكلّ أديانهم ومللهم، فلماذا يتعرّض لمسألة حسّاسة جدًّا عند النّصارى كتلك التي ذُكِرَت في الآيات أعلاه، والتي تتحدث عن اعتقادِ جلّ النّصارى بأنّ عيسى - عليه السّلام - قد صُلب وقُتل، بينما تؤكّد هذه الآيات أنّ عيسى لم يُقتل، بل رفعه اللهُ إليه بكيفيةٍ، اللهُ أعلمُ بها، وأنّه لم يُصلَب أبدًا، بل صُلب شبيهُه، لقد خطّأَ محمدٌ ﷺ النّصارى في أمر حسّاس ومقدّس عندهم، فهُم يُصلّون كلّ يوم للصليب الذي يعتقدون أنّ عيسى - عليه السّلام - قد تمّ صلْبُه عليه، فلماذا يتطرّق محمد ﷺ لهذا الموضوع الذي سوف يثير عليه عداوةَ النّصارى، ويصادم به عوامّهم وعلماءهم؟ لماذا لم يمرّر هذا الموضوع ويسكتْ عنه؟ أليس من الطبيعي أن يؤجّل طرحَ مثل هذه المواضيع الحسّاسة عليهم؟ وما يضيره لو لم يتكلّم في هذا الموضوع أصلًا، إذا كان

الأمرُ بقياسه هو واجتهادِه هو؟ ألا يكفيه عداوةُ الكفّار والمنافقين له حينما سفّه آلهتهم؟ ثمّ إنّ النّصارى في تلك الفترة وراءهم قوى عظيمة، وهي الإمبراطورية الرومانية، التي تعادل قوّتها قوّة أمريكا في هذا العصر، إنّه بذلك يثير هذه الإمبراطورية عليه؛ لأنّها تدين بدين النّصرانية، والصّليبُ عندهم مقدّس، فما هي قوّته - عليه الصّلاة والسّلام - لو أرادت تلك القوة أن تهجمَ على عاصمتِه - المدينة المنورة - فتبيدها عن بكرة أبيها، الحسابات البشرية تقول في مثل هذه الحال يجبُ على محمدٍ ﷺ ألّا يخوض هذه التّجربة، ولا يتعرّض لمثل هذه المواضيع الحسّاسة جدًّا.

اعتبرْ نفسك مستشارًا لمحمدٍ، وقد استشارك في هذه المسألة الحسّاسة، وهي أنْ يتكلّم بهذه القضية، أو لا يتكلّم بها، فبماذا تجيبه، وأنتَ تعلم أنّه ليس رسول الله كما يدعي؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفرصة 16

قالَ تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ سورة المائدة.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: في هذه الآية تحريمُ الميْتة والدّم ولحمِ الخنزير، وما أهلّ لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، وما أكل السبع، والنطيحة، وغيرها؛ ممّا ورد في الآية أعْلاه، ومثلها كذلك الكثيرُ من النّواهي والأوامر المذْكورة في بقيّة آيات القرآن، والتي تتضمّن ترك الكثير من الأفعالِ والعادات التي قد توارثها النّاس لمئات السنين، والأمر بفعلِ الكثير من الأفعال التي لم يعهدوها من قبْل، وبعضها ينصّ على إقامةِ الحدود والقصاص على المخالفين، والذين قد يتطلّب قطعَ أيدٍ، وجلدًا، ورجمًا، ونفيًا.

والشّاهدُ هنا: لِمَ كلّ ذلك؟ إذا أراد محمدٌ أن يتسيّد الناس، وأنْ يحبّوه ويتبعوه؛ ليحصل له ما يريد من الجاه والسّمعة والسّلطة، وغير ذلك من مطالب النّفس البشرية، فلماذا كلّ هذه الأوامر والنّواهي والعقوبات، والتي جاءت في بيئة قد سادتْ فيها الأعرافُ والتّقاليد لمئات السنين؟ أليس كلّ

هذه التّعليمات مما يُنَفِّر النّاسَ، ويبعدهم عن الشّخص الآمر بها؟ ألا يسعه ذِكرُ بضع أوامر تتعلّق بالأخلاق والعبادة فقط؟ دونَ الدّخول بالتّفاصيل الحياتية التي تشكّل تكاليف جديدةٍ تدخلُ في حياة النّاس لتقنّنها، وتنظّم حريّتهم فيها؛ بحيث تمنعُهم من ممارسة أفعالٍ قد عهدوها طيلةَ حياتهم. فما الذي يخسره لو اقتصرتْ تعليماته وأوامرَه على الأخلاق وبعض العبادات؛ سيكون حينَها أقربَ لما يريد تحقيقه؛ وهو سيادة النّاس وحبّهم له، ويبتعد بذلك عن التفاصيل الكثيرة التي سوف تسبّب له مشاكل كثيرة، فليس المشكلة في تبليغ الكثيرِ من التّعليمات المتضمّنة الأوامر والنواهي والعقوبات وحسب، بل المشكلةُ الأكبر هي في تطبيق هذه الأوامر الجديدة على النّاس كافّة، ثمّ متابعة تطبيقها بنفسه على أتباعه وغيرهم، ومِن ثمّ فإنّها ستفتح عليه بابَ أسئلة كثيرة جدًّا عن كيفيّات تطبيقها، والمشاكل التي سترد عليه من جرّاء ذلك، وكذلك هي ستشكّل عبئًا كبيرًا عليه من ناحية أخرى، حيث إنّه يجب أنْ يكون قدوة في تطبيقها على نفسه أوّلًا، وبشكل حرفيّ، كي يقنعَ النّاس بأنّه يريد لهم الخير، وأنّه فعلًا يستحقّ أنْ يقودهم لأنّه قدوتهم، فما الذي يضطرّه لكلّ ذلك؟

ولكنْ لم يكن محمّد ﷺ مصلحًا اجتماعيًّا أو حكيمًا أو عبقريًّا فحسب، إنّه رسول الله، الذي لا يسعه إلّا أنْ يبلغ ما أرسلَ به من التّعاليم الإلهية التي تصلح حياةَ الناس جميعًا في كلّ زمان ومكان، وبالتّالي ما كان له أن يعترض على كثرة الأوامر والنّواهي التي ذُكِرَت آنفًا؛ وذلك لأنّه مبلغ عن الله تعالى، وليس هو مَن أنشأ هذه الأوامر، فما عليه إلّا إيصال الأمانة إلى أهلها بعد أنِ اخْتاره الله لها ليبلغها لهم كما نزلت عليه.

الفرصة 17

قالَ تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة المائدة.

مفهومُ الآية، ولخّصُها: الله تعالى يأمرُ محمدًا أن يبلغ النّاسَ جميعَ ما أنزلهُ عليه من الحقّ، فإنْ لم يفعل ذلك؛ فلا يكون حينها قد بلّغ رسالةَ الله تعالى إليهم، ولا يكون قد أدّى الأمانة التي حمّله الله إيّاها.

وكذلك، فإنّ الله تعالى بيّن لمحمدٍ ﷺ في هذه الآيات؛ أنّه سيحفظه من القتل إنْ أراد أعداؤه قتله.

الشّاهدُ هنا: كيف عَلِمَ محمّد أنّ أعداءه لن يستطيعوا قتله؟ مَن أخبره بذلك؟ ألَا تدفع هذه الآية أعداءه ليكونوا أكثر حرصًا على قتله؛ فيُثبتوا بذلك أنّه قد اختلق هذه الآية من عنده لأنّهم استطاعوا قتله؟ والآية تنصّ على عدم إمكانية قتلِه من قِبَلهم لأنّ الله تعالى مانعُه وحافظُه، ومن ثمّ ستكون لأعدائه فرصةٌ كبيرة لإثبات أنّ القرآن هو من صنعه وليس مِن عند الله تعالى، وكذلك سيكون قتلُه سببًا لصدِّ من يريد الدّخول في الإسلام عن الدّخول فيه؛ لأنّ مصداقية محمد ستتزعزعُ أمامه، فإنّ أيّ شكّ في أيّ آيةٍ من آيات القرآن سيدعو للشّك في بقية آياته.

كيف يجرؤ محمّدٌ على تحدّي كلّ أولئك الأعداء الذين يتربّصون به لينالوا من حياته؟ لماذا يعرّض حياته للخطر بهذا الشّكل وهوَ مازال لم يُنهِ ما بدأه؟ لماذا يخاطر محمد هذه المخاطرةَ الكبيرة؟!

فماذا يقول المنطقُ البشري، والعقلُ السّوي، في مثل هذه الحالة؟! أترك لك الإجابة.....

الفرصة 18

قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ سورة الأعراف.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: يقصّ محمّد ﷺ لكفار قريش، ولصحابتِه، قصّة موسى - عليه السّلام - مع فرعون، حيث إنّ فرعون طلب من موسى أنْ يريه معجزة، فأوحى الله تعالى لموسى - عليه السّلام - أن يلقي عصاه على الأرض كي تتحوّل إلى ثعبان، وبعدها يقوم فرعون باستدعاء أعظم السّحرة لديه ليقوموا بأعمالٍ سحريةٍ عظيمةٍ، كي يبطلوا سحرَ موسى عليه السّلام، فلا يبقى لديه حجّة أمام فرعون، فألقوا حبالهم وعصيّهم أمام فرعون وموسى، حتى إنّ مَن رآهم تخيّل أنّ تلك الحبال تسعى كالثّعابين، فقام موسى بإلقاءِ عصاه الخشبية فتحوّلت لأفعى، وقامت بالتهام كلّ الحبالِ والعصيّ التي ألقى بها السحرة.

والشّاهدُ هنا: ما هو السّبب الذي يجعل محمدًا ﷺ يتحدّث لكفّار قريش الذين كذّبوه أشدّ تكذيب، هذه القصّة الغريبة وغير الطبيعيّة حيث إنّ

خلاصتها أنّ الله حوّل العصا الخشبية إلى أفعى بلحظةٍ واحدة، لم يحوّلها إلى حيّة تسعى فقط؛ بل حيّة استطاعت أن تبتلعَ كلّ الحبال والعصي التي أمامها، ألَا يفتح المجالَ لكفّار قريش ليزيدوا من تكذيب محمّد، والاستهزاء به ووصفه بالجنون، هل هو مضطرّ لقراءة تلك القصّة ومثيلاتها عليهم؟ مرّة يقول لهم إنّ موسى - عليه السّلام - شقّ البحر بعصاه، ومرّة يقول إنّ الله أنزل العذاب على قومِ فرعون بحيث تحوّل نهر النيل إلى دم، وأُرسلت عليهم الضّفادع والجراد والقمّل عقوبةً لهم، وعشرات القصص غيرها، والتي منها أنّ عيسى - عليه السّلام - يستطيع أنْ يحيي الموتى، وأنّه طلب من الله تعالى أنْ ينزل مائدة من السّماء فيستجيب الله تعالى لهذا الطّلب، وأنّ قوم إبراهيم حينما كذّبوه ورموه في النار تحوّلت النار إلى برد وسلام على إبراهيم، ومن أمثال هذه القصص التي تكرّرت مرّات كثيرة في القرآن، لماذا يقوم محمّد بتلاوة هذه القصص على الذين يكذّبونه في أصل الرسالة؟ لماذا يتكلّم لهم بالغرائب والعجائب؟ ألا يفتح عليه أسئلة من أولئك الكفار؛ أن يا محمّد بما أنّك تدّعي أنّك رسول الله، وأنّ موسى وعيسى وإبراهيم رسلُ الله، وأنّ الله تعالى قد أظهر على أيديهم المعجزات (كالتي ذُكِرَتْ آنفًا)؛ فلماذا لا تأتينا بمعجزة مثل تلك المعجزات التي قصصتها علينا، والتي جاء بها الرّسل المزعومون؟ سوف يوقع محمّدًا ﷺ نفسه بحرج كبير؛ لأنّه لا يستطيع أنْ يأتي بأمثال تلك المعجزات الماديّة الملموسة إلاّ بأمرٍ من الله تعالى، فمعجزتُه هو هي القرآن الذي تحدّى به كلّ فُصحاء العرب أن يأتوا، ولو بسورةٍ واحدة من مثله، فلوْ كان الأمرُ كذبًا وادّعاءً، وأنّه ليس برسول من عند الله فلماذا يحرج نفسَه - وبإرادته هو - بهذا الموقف الصعب والمحرج؟

هذا من جهة الكفّار، أمّا من جهة المؤمنين به، فسوف تتحرّك في نفوسهم رغبة، ستتحوّل إلى طلب، سيوجّهونه له ﷺ، وهو أنْ يكون له ﷺ معجزةٌ ماديّة، كالتي كانت لموسى وعيسى وإبراهيم وصالح وغيرهم من الأنبياء والمرسلين؛ لأنّ ذلك سَيُسَهّل عليهم دعوة النّاس للتصديق به ﷺ، هو طلبٌ منطقيّ من الذين آمنوا به ونصروه وضحّوا بحياتهم من أجل الذي آمنوا به، فحالُ الصّحابة يقول: لماذا تذكر يا نبيّنا كلّ تلك المعجزاتِ لأولئك الرّسل، ولا تأتينا بمعجزة واحدة تبرهنُ بها لِأُناسٍ آخرين بأنّك رسول الله، فيصدقوا بك وبدعوتك، وبذلك تقوى شوكتُنا ويشتدّ صفّنا؟

لماذا يتكلّم محمّد ﷺ إذًا بهذه القصص التي حتمًا ستجعله في موقفٍ هو في غنًى عنه؟!

أرجو منْك أيّها القارئ الكريم أنْ تأخذ نفسًا عميقًا لتتدبّر المعنى؛ لترى نورَ الحقيقة ساطعًا دونَ تكلّفٍ أو قفزٍ على خُلق الإنصاف الذي أريده منك.

الفرصة 19

قالَ تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾سورة يونس

مفهومُ الآية، وملخّصُها: أنْ يا محمد إنْ كنت في شكّ ممّا أنزلناه إليكَ من القرآن فاذهبْ لأهل الكتاب، واسألهم عن الحقّ الذي كلّفناك بأن تدعو إليه فستجد ذكرك في كتبهم المنزّلة على أنبيائهم.

الشّاهدُ هنا: هل يُعقل أنْ يوجّه شخص لنفسه مثل هذا الخطاب؟ إذا كان محمّد ﷺ كاذبًا في ادّعائه للنبوّة والرّسالة، فكيف يدعو نفسه ليذهب إلى الذين يكذّبونه أصلًا كي يجدَ في كتبهم ذكرَه وصفاته؟ ويقول ذلك تحت مسمع ومرأى من المسلمين وكفّار مكة، وجزيرة العرب، وأهل الكتاب في أيّ مكان، ألا يخشى أنْ يقول له أهلُ الكتاب ليس لك أيّ ذكرٍ في كتبنا؟ ألا يخشى من طلب المسلمين له بأن يجد ذلك لهم في كتب أهل الكتاب؟ ألا يشكّل ذلك تحدّيًا عظيمًا له قد يسبّب في زيادة التّشكيك برسالته وزيادة التّكذيب بدعوته، وحجّة كبيرة لأهل الكتاب والكفّار يستفيدون منها لإبطال دعوته وادّعائه؟

فهناكَ احتمالان اثنان؛ الاحتمال الأوّل: وجود ذكر في كتب أهل الكتاب لصفاتِ رسولٍ يأتي من بعد عيسى - عليه السّلام - متطابقةً مع صفاته تمامًا صلّى الله عليه وسلّم، وبذلك يكون هذا الأمرُ حجّةً قويّة له - صلّى الله عليه وسلّم - في أنّه صادق بادّعائه أنّه رسول الله، وهنا وصلنا

لما نريدُ إثباته، أمّا الاحتمالُ الثّاني: فعدمُ تطابق الصّفات المذكورة في كتب أهل الكتاب مع صفاتِه صلّى الله عليه وسلّم، بل من الممكنِ عدمُ وجودها أصلًا، وبهذا سوف يقع في إشكالٍ كبير جدًّا أمام الجميع، حتّى لو قال إنّ هذه الصّفات قد تمّ حذفُها من كتب أهل الكتاب، والتي تتطابق مع صفاتي، فلماذا يوقع بنفسِه في هذا الإحراج، ما الدّاعي له؟

إنّها الحقيقة البيّنة التي لا محيدَ عنها؛ وهي أنّ محمّدًا ﷺ كبقيّة البشر لا يمكن أنْ يقول مثل هذا الكلام من نفسه، ويخاطر كلّ هذه المخاطرة، إلّا أنْ يكون قد أوحي إليه بهذا الأمر، فهو مبلّغٌ عن الذي يعلم السّر وأخفى الحكيم العليم.

الفرصة 20

قالَ تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة هود.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: حينما قال كفار قريش لمحمد ﷺ لو أنزلَ اللهُ عليك كنزًا من السّماء أو جاء معك ملَكٌ من عند الله فربّما نصدّقك، حزن النبي كثيرًا من أجل ذلك، وشعر بضيقٍ في صدره، وربّما فكّر بأنْ يترك بعض ما كان يتلوه عليهم من الآيات.

الشّاهدُ هنا: ما هو موقفُ محمّد ﷺ أمام صحابته بعد تلك الآية، فبحسبِ منْطوق هذه الآية؛ فإنّه يقول لهم أنّي فكّرت أنْ أترك بعض ما أُنزِل إليّ من القرآن بسبب عناد كفار قريش، وطلبهم، بأنْ يكون معي ملَكٌ أو كنزٌ من السماء، ما الدّاعي لذلك؟ أليس هو مَن يقدّم نفسه قدوةً لأصحابه؟ كيف يقول لهم بأنّي هممت أن أترك بعضَ ما يوحى إليّ؟ أليسَ في ذلك خطرٌ عظيم على مكانته أمامَ أصحابه؟ أليس في ذلك شبهةُ احتمال أنْ يفهم مَن يسمعه بإمكانية أن يتنازل عنِ الوحي مطلقًا في حالةِ أنْ زاد الكفّار ضغطًا عليه أكثر من ذلك؟ وماذا يبقى بعدُ إذًا؟ إذا كان - وهو القدوة - يقول إنّه راودتني فكرة أنْ أتنازل عن بعض ما يوحى إليّ بسبب ضغط الكفار عليَّ؛ فماذا يفعل أصحابُه إذًا، ألا يكون ذلك مبررًا لهم كي يتنازلوا عن تبليغ القرآنِ كلّه؟ هل محمّد ﷺ مضطرّ لقول ذلك؟

إذا كانت هناك حسابات بشرية؛ فالصّحيح ألّا يقدّم القدوة أيّ شبهةٍ دليل يخرم بها كوْنه قدوة، ويقلّل من مكانته عند الناس، هذا في علم البشر، أمّا في علم الله العليمِ فالأمرُ يختلف تمامًا، فهو العليم الحكيم، وهو مَن أنزلَ هذه الآية على حبيبه المصطفى - صلّى الله عليه وسلّم - فما كان عليه إلّا أنْ يبلّغ ما أوحي إليه، حتى لو كان في ظاهر ما أوحيَ إليه مضرّة له أمام الآخرين؛ لأنّه يعلم كلّ العلم بأنّ إرادة الله به هي الحقّ المطلق والخير المطلق.

الفرصة 21

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ..... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ..... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة هود.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: ذكر اللهُ تعالى قصّة نوح - عليه السّلام -، وكيف أنّ قومه كذّبوه فنزل عليهم العذاب، وذلك بإغراقهم جميعًا، إلّا نوحًا - عليه السّلام - ومَن آمن معه، ثمّ يذكر الله تعالى أنّ هذه القصّة ومثيلاتها هي من أمور الغيب التي لم تكنْ - يا محمّد - تعلمُها، ولا حتّى قومك قبل ذلك.

والشّاهدُ هنا: هل عند محمّد ﷺ علمٌ عمّا يمتلكه كلّ شخصٍ من قومه من معلوماتٍ على وجه التفصيل؟ هل هو متأكّدٌ أنه لا يوجد أيّ

شخص من قومه لا يعلم بقصّة نوح عليه السّلام؟ أليس في ذلك مجازفةٌ وإحراج له - صلّى الله عليه وسلّم - إنْ وجِدَ ولو شخصٌ واحد يقول له بأنّه يعلم قصة نوحٍ من الكتب السماوية الأخرى، والتي فعلًا ذكرت قصة نوح؟ فشخصٌ واحد يبطل ادّعاء محمّد ﷺ، وبذلك يقع في إحراجٍ كبير هو في غنًى عنه تمامًا، فما هو الذي يجبر محمدًا ﷺ على تلاوة هذه القصّة على قومه، وإخبارهم بأنه لا يعلمها أحدٌ منهم قبل ذلك؟ فلو خرج أيّ شخص وقال أنا أعلمُ هذه القصّةَ لأصبح ذلك دليلًا على أنّ هذا القرآن هو مِن تأليف محمّد ﷺ، وليس من كلام ربّ العالمين، فنصّ الآية يقول بأنْ لا أحد يعلم هذه القصة من قوم محمد، وبالتّالي سوف يسهل جدًّا أن يكذّبوا القرآن كله.

ولكنّ هذه القصةَ ومثيلاتها لم تكنْ من تأليفه ﷺ فهو حقًّا لا يعلمها قبل ذلك، ولم يعلمها إلّا بعد أن أنزلها عليه العليمُ الخبير سبحانه، وما كان له أنْ يكتمَ ما أنزل الله عليه من الحقّ، سواء أعلم أنّ مِن قومه مَن يعلم هذه القصة قبل ذلك أم لم يعلم، فما عليه إلّا البلاغ وحسب.

الفرصة 22

قالَ تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ سورة الإسراء.

مفهومُ الآية، وخلاصتُها: أنّ الله تعالى قد نقل محمدًا ﷺ في ليلةٍ واحدة من مكّة إلى القدس حيث المسجد الأقصى، ثمّ رجع به إلى مكّة في نفس الليلة، وأراه من الآيات والبراهين أثناءَ هذه الرحلة.

الشّاهدُ هنا: المسافةُ من مكّة إلى القدس هي 1250 كيلومترًا، فهل يُعقل أنْ يقول رجل نصِفُهُ بالعبقري إنّه قد سافرَ هذه المسافة في ليلةٍ واحدة؟ (أي قطع مسافةً مجموعها 2500 كيلومترًا، فلو قطع هذه المسافة مشيًا لاحتاج إلى عشرين يومًا دون أيّ توقّف، ولو قطعها بأسرع حصان (75 كليومترًا في الساعة) لاحتاج إلى 33 ساعة)، وهذا الأمر لا يستطيعُ القيامَ به أيُّ إنسان، فلا يمكن الذّهاب والإياب من مكّة إلى القدس في ليلةٍ واحدة، إذًا لماذا يدّعي محمد ذلك؟ أليسَ من الطّبيعي أن يكذّبه قومُه أشدّ تكذيب؟ فعلى حين غرّة - ودون أيّ تحضير لمثلِ هذا الحدث العظيم - يستيقظ محمّد ﷺ صباحًا، ثمّ يلتقي بالنّاس الذين كذّبوه، فيخبرهم بهذه الآية، حَدّثَهم عن معجزةٍ لم يروها بأعينهم، معجزة يحتاج مَن يصدّقها أن يؤمن أوّلًا بأنّ محمدًا رسول الله، ويكون هذا الإيمانُ راسخًا كالجبال، ويؤمنَ كذلك أنّ محمدًا ﷺ صادق في كلّ

ما يقوله؛ حتّى لو كان من الأمور الخارقةِ للعادة، ولكن في الحقيقة إنّ قومه الذين كذبوه لم يؤمنوا ابتداءً أنّه رسولٌ يوحى إليه، واتّهموه بالافتراء على الله، فكيف يحدّثهم بهذه المعجزة التي سوف تزيد من تكذيبهم له أكثر؟! بل ويستدلّون بأنّه كذّاب كبير من خلال هذه القصة نفسِها، كيف يحدّثهم بهذه المعجزة الخارقة للعادة وهُم يتّهمونه أصلًا بالسّحر والشعوذة؟ والتي سوف يستدلون بها تأكيدًا على أنّه ساحر ومشعْوذ، ما الذي يضطرّ محمدًا ﷺ لخلق مثلِ هذه القصّة التي سوف تصعّب عليه مهمّته؟ ما الداعي لذلك؟! فالمفروضُ في حسابات البشر أن يأتي لقومه الذين كذّبوه بكلّ برهان ودليل يُثبت من خلاله بأنه صادق، وذلك كي يصدّقوا دعوته، لماذا يحدّثهم عن معجزة لا يمكن التحقق منها عمليًّا؟ كيف له أنْ يثبت لهم أنّ ما يدّعيه من زيارته للمسجدِ الأقصى قد حدثَ فعلًا؟ وكيف له أن يجيب لو سأله أحدُهم بأن يصف له القدس أو المسجد الأقصى أو حتّى الطّريق بين مكة والقدس؟ لماذا يوقع نفسَه - صلّى الله عليه وسلّم - بهذا الإحراج الكبير وهو في غنًى عنه؟

إنّه أمرُ الله العليم الحكيم الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وجعل ذلك الخبرَ في قرآنٍ يتلى على رؤوس الأشهاد إلى يوم الدين، وهو أعلمُ - سبحانه - ما يناسبُ ذلك الزّمان وذلك المكان من حوادث وأفعال يحدّدهما بعلمه الغيب وقدرته على فعل كلّ ما يريده ويقضي به سبحانه.

تخيّل نفسك مكانَ محمّد، أكنت تختلق قصة الإسراء العجيبة وأنتَ تعلم أنّه سوف يكذّبك ربما أقرب الناس إليك؟!

الفرصة 23

قالَ تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ سورة الإسراء.

مفهومُ الآية، وخلاصتُها: أنّ أعداء محمّد ﷺ أرادوا بكيْدهم وأذيّتهم له صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجوه من الأرض التي يسكنُها (وكانت حينَها مكة)، وإذا فعلوا ذلك، وأخرجوه من مكّة، فسوف يحدث لهم من الله تعالى أمرٌ قدريّ يؤدّي إلى أنْ يخرجوا هُم أيضًا من مكّة بعد فترة من الزمن، وأنّ هذا الأمر قد حدث كثيرًا مع الرّسل السابقين، حينما يخرجُهم قومهم من الأرض التي كانوا يسكنوها.

والشّاهدُ هنا: لو كان هذا القرآنُ من تأليف محمد ﷺ؛ فكيفَ عرف أنّ قومه لو أخرجوه سوف يحدث لهم أمرٌ ما فيخرجون هُم أيضًا من مكّة بعد برهةٍ من الزمن، ولا يكون مكثُهم فيها طويلًا بعده؟ فجُملة «إلّا قليلًا» تدلّ على أنهم سوف لا يمكثون بعده في مكّة إلّا زمنًا يسيرًا، ولو مات محمد ولم يخرجوا من مكة بعد أنْ كانوا قد أخرجوه منها؛ فسيبطل ادّعاؤه عندئذ، ويجعل أعداءه يستدلّون على أنّه كاذب بهذا الأمر، وستكون هذه الآية ليستْ من عند الله، وإنما هي من تأليفه صلّى الله عليه وسلّم، فيكون ذلك شاهدًا على كذبه (حاشاه) بادّعائه أنّ هذه الآية قد نزلتْ عليه من عند الله علّام الغيوب.

وهنا شاهدٌ آخر: إنّ باستطاعة مشركي مكّة أن يوقعوه ﷺ في حرجٍ كبيرٍ بعد ما سمِعوا منه هذه الآية، وذلك باتّفاقهم كيدًا به، على إخراجِه عنوةً من مكة، ثمّ انتظارهم فترةً من الزّمن فيها غيرَ خارجين منها، وبعدها يقولون لمن حولهم، ولصحابة رسول الله ﷺ؛ بأنّ محمدًا قد كذب عليكم، فها نحنُ قد أخرجناه، وبقينا بعدَه في مكّة، ولم يحدُث أصلًا أيُّ شيءٍ يستدعي أنْ نخرُجَ مِنها، كما يزعم محمّدٌ، وبهذا يقع محمدٌ ﷺ في حرج كبير، ويفتح على نفسه بابًا آخرَ لتكذيبه، وللسّخرية مما جاء به، وهو غير مضطرّ لمثل هذا الأمر.

ولكنْ لكونه مبلّغًا عن الحقّ الذي نزل عليه، فقد تلا عليهم ما نزلَ عليه من هذه الآيات غير آبهٍ بما سوف يحدث بعدها، فهو واثقٌ بربّه سبحانه، وبكلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

وهنا شاهدٌ آخر أيضًا: وقد وقع ما تنبّأت به هذه الآيات فعلًا، فحينما أخرجه قومُه، وذهب إلى المدينة متخفّيًا، حدث بعدها بزمنٍ يسير معركةُ بدر، التي كان سببها أنّ قافلةً لقريشٍ كانت مُحمّلةً بأموالِ زعماء قريش، قد كان من المفترض أنْ تمرّ بالقرب من المدينة، فحينما سمع النبي ﷺ بشأنها استنفرَ الصّحابة كي يهاجموها ويستولوا عليها لأنّها تحمل أموالَ زعماء مكّة، الذين سرقوا أموال الصحابة الذين كانوا يعيشون في مكّة من قبل، والذين قد تركوها وهاجروا مع رسول الله إلى المدينة، فوصل خبرُ تجهّز محمد ﷺ للاستيلاء على القافلة إلى زعماء قريش؛ فجهّزوا جيشًا كبيرًا، وخرجوا خارج مكّة للدّفاع عن القافلة، ولكنّ أبا سفيان الذي كان يقود القافلة قد سمع أيضًا بأنّ جيش المسلمين متوجّه إلى القافلة

للاستيلاء عليها، فاتّخذ طريقًا آخرَ، واستطاع أن يَفِرّ بالقافلة، ولكنْ مع ذلك.. التقى الجيشان بغير ميعادٍ سابق، جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ وجيش مكة بقيادة زعمائها، وذلك في منطقة آبار بدر، والتقى الجيشان غير المتكافئين بالعدد والعدّة، حيث لم يكن جيش المسلمين متجهّزًا لملاقاة جيش مكّة، والتحم الجيشان، ثمّ انتصر جيش المسلمين، وأنزل الله تعالى عقابه بجيش مكّة على أيدي الصّحابة رضي الله عنهم، وقُتِلَ الكثيرُ من زعماء مكة، وكان هذا الحدثُ هو التفسيرَ المطابق لنصّ الآية السابقة تمامًا، حيث قام زعماءُ مكّة بالتآمر على رسول الله، وذلك بمحاولة قتله وهوَ فيها، فقرّر أن يخرج منها، وبعد أن خرج منها متخفيًا هو وصاحبه أبو بكر الصّديق رضي الله عنه، حدث أمر قدريّ - أمر القافلة - حيث قرّر زعماء مكة أن يخرجوا من مكّة لإنقاذ قافلتهم، فحدثتِ المعركة غير المتوقّعة بين جيش المسلمين وجيش الكافرين، ونزلت العقوبة على جيش الكافرين فهُزِموا شرَّ هزيمة، وخسِروا أبطالهم بسببها، وهُم قيادات مكة حينها، والحمدُ لله ربّ العالمين.

أيّها القارئ الكريم، أرجو منك أنْ تعيد قراءة الآيتين أعلاه، ثمّ فكّر بعدها بسرّ هذا التحدّي من محمدٍ لأعدائه، هل هو من الأمور العادية التي تحصلُ في حياة البشر؟ هل سمعت بقصّة تاريخية مثل تلك القصّة من قبل؟

الفرصة 24

قالَ تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ سورة الإسراء.

مفهومُ الآية، وخلاصتُها: يأمر اللهُ تعالى محمدًا ﷺ أن يقومَ الليل ويصلّي له سبحانه، كي يكون له المقام المحمود يوم القيامة.

والشّاهدُ هنا: من المعلوم أنّ الاستيقاظ في أيّ وقتٍ من الليل يكون مرهقًا ومزعجًا، لا سيّما إذا كان النهار متعِبًا، فيكون النّومُ بشكل مستمرّ في الليل هو الذي يخفّف عبء تعب ذلك النهار، فكيف لو قَطَعَ ذلك الليل الهادئ استيقاظٌ ثمّ وضوءٌ.. فصلاة!؟! وكيف لو كان هذا الأمر مستمرًّا، وكلّ يوم!! ألا يكون ذلك مرهقًا ومتعِبًا، فلماذا إذنْ يقوم محمد ﷺ بتكليف نفسِه هذه المشقة الكبيرة، ويدعي في هذه الآية أنّ الله يأمره بذلك، والى أجلٍ غير معلوم، ويحتاج محمد ﷺ لتطبيق هذا الأمر أنْ يترك فراشه الدافئ في الليل ثمّ يتوضّأ بالماء البارد في الليلة الباردة (لو كان الوقت في الشتاء مثلًا)، ثمّ يقوم ويصلّي ما شاء الله من الصلاة، وذلك كلّ يوم إلى أن يموت، وهنا يوجد للأمر احتمالان: إمّا أن يفعل ذلك، وفي ذلك مشقّة كبيرة جدًّا عليه وعلى أزواجه وأولاده وعامة المسلمين، وهو غير مضطرّ لهذا الأمر؛ وإمّا ألّا يقوم بذلك مطلقًا، أو يقوم بذلك في بعض الأيام، فإنْ فعل ذلك فلا يكون قدوةً أمامَ زوجاته وأبنائه والمسلمين حينئذ، وذلك لأن نصّ الآية واضحٌ بأنّ الله تعالى يأمره بأن يقوم يصلي

في الليل، فكيف له ﷺ أن يعصي أمر الله تعالى أمام من يُفترض أن يكونَ قدوة لهم، أليس ذلك مسيئًا له ﷺ؟ ألا يفتح بذلك البابَ على مصراعيه لعصيان أمر الله من قبل زوجاته وأبنائهِ والمؤمنين بدعوته؟ لماذا يأمر نفسه بأمرٍ سيكون ثقيلًا عليه ومحرجًا له على كلا الاحتمالين؟ ألا يكفيه مشقة النهار والتّعب الذي يكابده من جرّاء دعوته للناس؟ لماذا يضع نفسه في موقفِ مَن يمتحن نفسه دائمًا أمام الناس؛ الذين يعتبرونه قدوةً لهم، وعليه أن يتقدّمهم في فعل كلّ خير؟ وكيف لو كان هذا الخيرُ هو أمرٌ من الله تعالى له خصيصًا.

لم تكنْ له هذه الآية، ومن أمثالها الكثير؛ إلّا تكريمًا له عليه الصّلاة والسّلام، وذلك لسموّ مكانته وقدره عند ربه تعالى، فما كان له إلّا أنْ يقوم الليل مقبلًا على الله بروحه وجسده ليخفّف عنه ربّه سبحانه ما عاناه في النّهار من تكذيب الكفّار له ومعاداتهم له عليه الصلاة والسلام.

قل لي يا صاحبي، بعد قراءتك السّطور أعلاه، هل مازلت تعتقد أنّ كلّ ذلك من صنع محمد؟ وأنّه ليس رسول الله؟ هل تريد أدلّة أخرى؟ سأُزيدك فإنّك تستحق الزيادة.

الفرصة 25

قالَ تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾سورة الإسراء.

مفهومُ الآية، وخلاصتُها: سُئِل محمد ﷺ عن ماهية الرّوح، فأجاب أنّ علمها عند الله الذي خلقها، وما أعطي الإنسان من العلم إلّا القليل.

الشّاهدُ هنا: محمد ﷺ يعرض نفسَه على أنه رسولٌ أُرسِل من عند الله سبحانه الذي خلق الروحَ، وخلقَ كلّ شيء، فلماذا إذًا لا يجيبهم على سؤالهم بأيّ جواب يبهرهم به فيما يتعلّق بماهيّة الروح ويستعمل فيه من المفردات ذات المعاني الجاذبة، وينتهي الموضوع كأنْ يقول إنّ الأرواح مصنعها بين السّماء السابعة والسّماء السادسة في مكانٍ مملوءٍ بالنور، وهي تصنعُ في غرفٍ مبنيّة من اللؤلؤ والياقوت، مادتها الأصلية من نورٍ ونار، مسئول عن صناعتها ملائكة خاصّون، و..و..و.... ويستطرد في شرح ماهية هذه الروح بالشكل الذي يبهرهم بمعلوماته الغيبيّة؛ والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحقّقوا منها، فكيف يصعدون إلى السماء ويجدون مصانع الروح والملائكة المكلّفين بها؟ لماذا لا يعطيهم أيّ معلومة عنها؟ أليس في ذلك تفويتٌ لفرصة من الفرص التي يبحث عنها كلّ مَن يريد أن يصدقه ممن يدعوهم بأنه رسولٌ من عند الله تعالى، وأنّه ذو علم كبير ومطلّع على أسرار كثيرة لا يعلمونها؟ وحيث أنّه لا يمكن لأحد أن يأتي بمعلومة علميّة في ذلك الزمان تفنّد المعلومات التي يريد

أن يكلمهم عنها متعلّقة بالرّوح؛ ألا يشكّل عدم جوابه لهم إحراجًا له؟ لقد كلّمهم عن السّماوات السبع والأفلاك، وعن الرياح، وكيف يتشكّل المطر، ومراحل خلق الجنين في رحم أمه، والأخبار التّاريخية المفصلة، والأخبار والعجائب التي سوف تحدُث في المستقبل؛ مثل خروج يأجوج ومأجوج، وعن تفاصيل الجنة والنار، وغير ذلك من المعلومات التي تصل إلى المئات، ألا يستطيع أن يؤلّف أيّ قصة عن ماهية الروح؟ وفوق ذلك يقول لهم في نهاية الآية إنّ علمكم قليل جدًّا، فهو لم يجبْهم عن تساؤلهم عن الرّوح، وفوق ذلك ينسب لهم الجهل، أليس ذلك محرجًا له؟

لم يكنْ لمحمدٍ ﷺ أن يتكلّم بلا علم، أو أن يؤلف قصةً من خياله ليتخلّص من موقف قد سبب له الإحراج، فهو قد أجابهم بما أملاه الله سبحانه عليه، إنّ ماهية الروح ليست معلومةً عنده، وإنّما أمرها عند الله العظيم الذي خلقها، فما كان له أن ينطق عن الهوى، عليه الصّلاة والسّلام.

الفرصة 26

قالَ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾سورة الإسراء.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يقول الله تعالى ممتنًّا على عباده بأنه قد بيّن لهم في هذا القرآن الحججَ والبراهين القاطعة، ووضّح لهم الحقّ، وضرب لهم الأمثال والحكم، وذكّرهم بالغاية من خلقهم، وما يجب عليهم فعلَه تجاه ربهم، وتجاه أنفسهم، وتجاه النّاس أجمعين، ولكن الناسَ أعرضوا عن الحقّ الذي بيّنه الله لهم في أشكال متعدّدةٍ، واختاروا بدل ذلك الكفر والجحود؛ عنادًا منهم للحقّ الذي استيقنه كثيرٌ منهم في أنفسهم، لكنهم استكبروا عليه بأفعالهم وأقوالهم.

الشّاهدُ هنا: كما هو معلوم فإنّ القرآن قد نزل مفرقًا على محمّد ﷺ ولم ينزل كلّه عليه جملةً واحدة، ودليل ذلك هو الآيةُ الكريمة في نفس سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾، فما يدري محمدٌ أن القرآن سيكتمل في كتابٍ واحدٍ في حياته، وتُذكَرُ فيه كلّ الأمثال التي يحتاجها الناس في حياتهم، سواء أكانوا يعيشون في فترته صلى الله عليه وسلم أو بعد أن يموت عليه الصّلاة والسلام، وإلى يومنا هذا؟ فربما يموت - صلّى الله عليه وسلم - بعد تلاوة الآية أعلاه مباشرة، ولم يكتمل القرآن بعد، ثمّ يبحث الناس عن الأمثال التي يريدونها في القرآن الذي تركه محمدًا لهم، فلا يجدوا

ضالتهم فيه، فيعودوا للتّشكيك في هذا القرآن، فكيف يُذكَرُ في القرآن أنّه جُمِع فيه كلّ الأمثال التي يحتاجها الناس؛ ثمّ إذا أرادوا تلك الأمثال؛ فمرة يجدونها، ومرّة لا يجدونها، حسب المواضيع التي يهمّهم البحث عنها فيه، أليس ذلك سيشكّل فرصة لكلّ مَن كان حريصًا على تكذيب محمد والسّخرية من الرسالة التي جاء بها؟

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، لماذا يفتح محمّدٌ ﷺ على نفسه البابَ مُشرعًا لأسئلة الناس، سواء أكانوا مؤمنين بدعوته أم لا، عن أمثال يريدون سماعها، في أي مسألة ستخطر على بالهم؟ سيأتيه في اليوم مئات الناس ليسألوه عن الصّغيرة والكبيرة من الأمثال المذكورة في القرآن، والتي تمسّ حياتهم، منهم الصّادق ومنهم الكاذب، ومن هؤلاء الكذبة مَن يريد أن يستهزئ به ويتعبه، ومنهم مَن يريد أن يكذبه أمام الناس، فلماذا يفتح على نفسه هذا الباب المتعِب والمحرج إذا كان هذا القرآن من عند نفسه ولم يكن من عند الله الكريم الرّحيم؟

أرجو منك أن تتمعّن - ولو قليلًا - بهذا الأمر؛ لتجد أننا أمام أسئلةٍ مُحرجة لكلّ مَن يشكّك في نبوّة محمد.

الفرصة 27

قالَ تعالى:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾

سورة الكهف.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يثني اللهُ تعالى على نفسه بأن أنزل القرآنَ على محمّد ﷺ ولم يجعل لهذا القرآن أيَّ اعوجاجٍ أو اختلافٍ أو انحرافٍ عن الحقّ، ولا خروجًا عن الحكمة، فكلّ القرآن خالٍ من أيّ نوعٍ من أنواع الاعوجاج وفي أي أمر من الأمور صغُرت أم كبُرت.

الشّاهدُ هنا: هل سمعتم عن أيّ مؤلّف لأي كتابٍ على مرّ التّاريخ، يقول عن كتابه الذي ألّفه باستحالة أن يجد أحدٌ في كتابه أيّ خطأ في أيّ معلومة صغيرة كانت أم كبيرة، ولو كان في موضوع واحدٍ؟ ومهما كان عالمًا هذا المؤلف، هل يمكن أنْ يقول شخص مهما أُوتيَ من علم وذكاء بأن كتابه الذي ألّفه منزّه عن أي اعوجاج؟

محمّد ﷺ يقول في هذه الآية إنّ القرآن الذي جاء به لا يمكن أن يحتوي على أي خطأ، ومعلوم لكلّ مَن قرأ القرآن وفهمه بأنّه قد حوى قصصًا تاريخيةً مفصلةً، وتكلم عن أحداثٍ مستقبليّةٍ قد وقعت فعلًا، وتحدّث عن معلوماتٍ منوّعة، متعلقة بمختلف العلوم الكونية، ووجه بتفاصيلَ كثيرةٍ لبناء المجتمع الآمن المستقرّ اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا وأمنيًّا، وتوسّع في ذكر التعليمات والأوامر التي تجعل الأسر التي تعيش

في هذا المجتمع؛ أسرٌ يسودها العلم والعدل والأخلاق الحميدة، وتكلّم عن الحكم والأمثال التي ترشد الناس للطريق القويم.

كلّ هذه المعلومات والإرشادات الكونية والدينية والأخلاقية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والأمنية موجودةٌ في هذا الكتاب، الذي يتحدّى محمد به كلّ البشر، وعلى مرّ العصور، بأن يجدوا فيه ولوْ شيئًا معوجًا واحدًا أو خطأ واحدًا صَغُر أم كَبُر، هل يعقل هذا؟

كيف يستطيع رجلٌ مهْما بلغ علمه أن يتحدّى كلّ البشر بهذا الأمر؟ وعند مَن؟ عند أعدائه من قومه، الذين نزل القرآن بلغتهم، والذين كانوا يتمنّون أن يجدوا أيّ خطأ في كلامه ﷺ، وذلك ليكذّبوه ويستهزئوا به، لماذا يكتب محمد ﷺ في هذا القرآن كلّ هذه المعلومات التي ذُكِرت أعلاه؟ ألا يكفيه إرشادات دينية وأخلاقية فقط؟ لماذا يضع نفسه دائمًا في موقف المتحدّي لغيره بما لا يستطيع عمله وفعله أي بشر؟ وهو يتحدّى ليس قومه فحسب؛ بل يتحدّى الناس أجمعين، لماذا يحرج محمّد نفسَه كلّ هذا الإحراج الكبير.

لكنّه كلام ربِّ العالمين نزل به الروحُ الأمين على قلب محمد ليكون هاديًا للناس أجمعين، وكما جاء في هذه الآية الكريمة لا يمكنُ لمنصف عالمٍ بمعاني القرآن وتأويله أنْ يجد أيَّ اعوجاجٍ أو خطأٍ مهما بحث أو استعانَ بغيره، لن يجد أبدًا ما يبحث عنه إنْ كانَ عدوًّا أو صديقًا، شرط أن يكون عليمًا باللغة العربية وتفسير القرآن وتأويلاته وأصول التفسير والمنطق والقواعد الأصولية الشرعية وعلوم القرآن، وأن يكون متجردًا منصفًا غير متّبعٍ لهواه.

الفرصة 28

قالَ تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ..... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الكهف.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: هذه القصّة مؤلّفة من ستّ عشْرة آية، ولا داعي لكتابة كلّ الآيات هنا لطولها، ولمن شاء أن يرجع إليها فحسبُه كتاب الله، وما يهمّنا منها هو: أنها تتحدّث عن قصّة أصحاب الكهف الذي لا يعلم عددهم إلّا الله، وقليل من الناس.

في هذه القصّة تفاصيل كثيرة، وما يهمّنا منها - على وجه التّحديد - هو التّالي: أنّ مجموعة من الموحّدين في أحد الأزمنة اعتزلوا قومَهم في كهفٍ من الكهوف، فأنامهم الله 309 سنة في هذا الكهف، ثمّ استيقظوا بعد ذلك، وقد ظنّوا أنهم ناموا يومًا واحدًا!

والشّاهدُ هنا: قصّةٌ عجيبةٌ، شبابٌ ينامون في كهف 309 سنة، ثمّ يستيقظون بعد ذلك.

أليسَ ذلك من العجائب والغرائب؟ ما الذي دفع محمّدًا ﷺ لإخبار النّاس بهذه القصة، وجعلها في القرآن الذي قدّمه على أنّه كلام الله المقدس والمنزل من فوق سبع سماوات؟ ما الذي جعل محمّدًا يعطي الأولوية والأهمية لهذه القصة بحيث تسمّى سورةٌ كاملة من القرآن باسم سورة الكهف، إشارة لقصّة أصحاب الكهف، ويتلو هذه السّورة مئات الملايين من البشر على مرّ الدّهور والعصور، وإلى يومنا هذا؟

وعند التأمّل ظهر لنا ثلاثةُ احتمالات: إمّا أن يكون محمد ليس رسولًا من عند الله، واختلق هذه القصة وألّفها (حاشاه)، ولم يسمعْها من أحدٍ مِن قبْل، ثمّ ادّعى أنها من عند الله سبحانه وتعالى، وإمّا أن يكون قد سمعها من أحدٍ من الناس، وليست هي مِن تأليفه، فنقلها كما سمعها، وزعم أنه تلقاها من ربّ العالمين، وإمّا أنّه حقًّا رسول الله، قد أنزل عليه هذه القصّة، ولم يسمعها من أحدٍ غير جبريل عليه السّلام، ولم يختلقها من عند نفسه.

ولكنْ قبل أن نرجح أيَّ الاحتمالات الثلاثة أصوب، فلنتذكر معًا؛ ما الذي كان محمّد ﷺ يريده من الناس أصلًا؟ أليسَ ما يريده ويرجوه هو أنْ يصدّقوا دعواه بأنه رسول الله، وأنّ هذا القرآن هو كلام الله المنزل عليه؟ فإذا فكّرنا بالاحتمال الأوّل والثّاني نجد أنّه من المجازفة بمكان أن يختلق محمّد هذه القصّة من عند نفسه، أو أن ينقلها من غيره، لقومٍ هُم يكذّبونه أصلًا بدعواه أنّه رسول الله، فكيف يصحّ أن يخبرهم بهذه القصّة العجيبة والغريبة؟ ألا يزيد ذلك من تكذيبهم وسخريتهم له؟ كيف ينام قوم 309 سنة ثمّ يستيقظون بعد ذلك؟ وهنا لم يبقَ لنا إذًا إلّا الاحتمال الثالث: وهو أنّ هذه القصّة قد نزلت من عند علام الغيوب، المطّلع على كلّ الأمور دقيقها وجليلها، العالم بما يصلح للدعوة في الزّمان والمكان المناسبيْن، وما يُقوّي من موقف محمد ﷺ وصحابته الكرام، فما كان لمحمّد ﷺ إلّا أن يتلو ما نزل عليه من القرآن فيما يتعلّق بهذه القصة أو غيرها، حتى لو كانت أكثرَ غرابة منها بحساباتنا القاصرة، فالله أعلم وأحكم وأرحم، وهو وحده يعلم الآثار الإيجابية من خلال العبر والمواعظ والحكم التي تتخلّل هذه القصص الحقيقة،

والتي ستعودُ بالخير الكبير عليه ﷺ وعلى الدعوة بصورة عامّة، وعلى صحابته الكرام، وعلى والمؤمنين في كلّ زمان ومكان، وذلك ليزداد المؤمنون إيمانًا، ويعلموا بأنهم ليسوا وحدهم في هذا الطّريق؛ بل قد سبقهم إليه أقوامٌ آخرون حين كذبهم قومُهم فصبروا ورابطوا وجاهدوا إلى أن نصرهم الله، أو نالوا الشّهادة في سبيله.

الفرصة 29

قالَ تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ سورة مريم.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: هذه الآياتُ - وما قبلها - تتحدّث عن معجزةٍ حصلت لمريم عليها السّلام؛ حيث حملت بنبيّ الله عيسى - عليه السّلام - دون أن يمسسْها بشر، وتفاصيلُ حمل مريم - عليها السّلام - مبيّنة في الآيات التي سبقت هذه الآيات، وما يعنينا من هذه القصّة هو التالي: حينما ولدت مريم ابنَها عيسى، وجاءت به إلى قومها، استعظموا ذلك جدًّا، وأنكروا عليها، وقالوا لها: كيف تلدين ولدًا وأنت لم تتزوّجي أصلًا؟ ونحن نعلم أنك من عائلة شريفة وفاضلة؟ فلمّا سمعتْ منهم هذا الكلام أشارت إلى عيسى، فتعجّبوا من ذلك أيضًا، وقالوا لها كيف تريدين أن نكلّم رضيعًا؟ فعندها نطق الرّضيع، وقال لهم ما هو مبيّن في الآيات أعلاه.

والشّاهدُ هنا: لقد قرأ محمّد ﷺ هذه الآيات، وغيرها الكثير، على الناس كافّة، والتي تصف قدرات عيسى - عليه السّلام -، وتحكي قصّته

مع قومه؛ قرأها على المؤمنين، وعلى الكافرين من قومه، وعلى أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، تلا عليهم كلّ هذه الآيات، وسوف يقرؤها كذلك مئات الملايين من البشر، وفي كلّ عصر، إلى ما شاء الله، فهي موجودةٌ في القرآن في عدّة مواضع.

ملخّص ما جاءت به هذه الآيات أنّ عيسى - عليه السّلام - لم يأتِ للحياةِ من ولادة طبيعية جاءت من تزاوج رجل بامرأة، ولكنْ من خلال معجزةٍ خارقة للعادة مذكورة في بعض آيات القرآن، مثلَ قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾، وبعد الولادة مباشرةً يتكلّم عيسى - عليه السّلام - وهو في المهد طفلًا رضيعًا مخاطبًا قومه، قائلًا: إنّي عبد الله، وأنا مرسَلٌ لكم من عند الله سبحانه، وقد آتاني الله كتاب الإنجيل، وجعلني مباركًا أينما كنت، وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمتُ على قيد الحياة، ويجب عليَّ أنْ أحسن لوالدتي، ولم يجعلني جبارًا شقيًّا، والسّلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيًّا.

وفي آياتٍ أخريات (كما في سورة آل عمران من الآية (46) ولغاية الآية (49) يبيّن الله - سبحانه - أنّه قد أعطى لعيسى - عليه السّلام - قدرات خارقة، منها: نفخ الروح في الجمادات لتكون طيورًا بعد ذلك، والقدرة على إحياء الموتى، وإرجاع البصر لمَن فقد بصره، وشفاء الأبرص، وجعل الأخرس يتكلّم، واستطاعته أن يَعلَمَ ما يأكل بنو إسرائيل، وما يدّخرون في بيوتهم، وكلّ ذلك آياتٌ تبرهن على أنه رسول من عند الله، وفي غيرها من الآيات؛ أنّ الله قد علمه الحكمة والتوراة والإنجيل.

وهنا شاهدٌ أيضًا: إذا كان محمد ﷺ كاذبًا في دعواه بأنه رسولُ الله، فللعاقل أنْ يقول: كيف لمحمد أنْ يقول للناس: إنّ رجلًا آخر اسمه عيسى، قد اختاره الله تعالى ليكون نبيًّا ورسولًا مثلي، ولهذا النبيّ مواصفات وقدرات هائلة (والتي ذكرناها آنفًا)، وبالمقابل هو - صلّى الله عليه وسلّم - لا يمتلك أيّ منها؟ فما الذي يمتلكه محمّد ﷺ؟ لم يتكلّم - عليه الصّلاة والسّلام - حينما كان في المهد رضيعًا، ولا يستطيع إحياء الموتى، ولا يستطع أنْ ينفخ في الجمادات لتكون طيورًا، ولا يستطيع أن يرجع البصرَ لفاقده، ولا يستطيع أن يرجع قابليّة الكلام للأخرس، ولا يعلم ما يأكله قومه في بيوتهم وماذا يدّخرون.

هل يُعقل أنْ يُعَظِّم محمدٌ نبيًّا مثلَه بهذا الشّكل؟ ألا يخشى - عليه الصّلاة والسّلام - أن يفتتن الناس الذين يدعوهم ليؤمنوا به وبدعوته، وقد أوْشكوا على التّصديق به، أن يفتتنوا بنبي الله عيسى، ويعتنقوا دينه - عليه السّلام - ويصبحوا نصارى؟ بحجّة أنْ عيسى عندَه من القدرات والمعجزات العظيمة والفائقة ما ليستْ موجودة عند محمّد ﷺ، لا سيّما طريقة حمل مريم - عليها السّلام - به، والتي لم يتزوّجها رجلٌ قط، وقد ذُكِرَ ذلك مفصّلًا في القرآن الكريم، وكذلك معجزة نطقه وهو في المهد، وقدرته على إحياء الموتى، فلماذا يدخل الناس في دين محمد ولا يدخلون في دين عيسى؟

إنّ المعهود مِن سيرة مَن يريد أنْ يكون ملكًا أو رئيسًا على قومِه، أو مصلحًا لهم؛ أنْ يُعلي شأنه بنفسه بينهم، وبأيّ طريقة من الطّرق، سواء أكانت طرقًا مباشرة أم غير مباشرة، شرعيّة أو حتى غير شرعيّة؛ بل سوف يبدع في ابتكار الوسائل التي تجعل الذين يدعوهم أكثرَ وثوقًا بقوته أو بعلمه

أو بكليْهما ليستجيبوا له ويصدّقوا دعوته، فكيف يريد للناس أن يتّبعوه ويتّبعوا دعوته، ولا يتبعوا دعوة عيسى؟ بعد كلّ الذي ذكره بحقّ عيسى، وقد كان باستطاعته، لو كان الأمر بيده، أنْ يذكر عيسى على أنّه رسول من الرسل، وقد أُنزِلَ عليه الإنجيل، وله أصحابٌ يسمّونهم الحواريّين، وينتهي الموضوع وكفى، دون التطرق لمعجزاته وقدراته الكثيرة أو علمه؟ ثمّ إنّ أقوى إمبراطورية في تلك الفترة، وهي الإمبراطورية الرومانية، كانت تتّبع الدّين الذي جاء به عيسى عليه السّلام، والتي تقارن اليوم بأمريكا، ألَا يشكّل ذلك دافعًا لقوم محمد ولغيرهم من أقوام الجزيرة العربية أنْ يدينوا بديانة أعظم دولة في وقتهم، ويعطوها الولاءَ الكامل بعد ذلك؟ لعلّهم يستفيدون من التّحالف معها تجاريًّا، كما هو دأبهم مع الآلهة.

ومِن المعلوم أنّ محمّدًا ﷺ عرضَ نفسه بأنّه رسول للناس كافّة، فكيف يريد أنْ يقنع النصارى بأن يتركوا دينهم الذي جاءهم به عيسى - عليه السّلام - ويتّبعوا دين الإسلام؟ وهو نفسه قد ذكر عن عيسى كلّ الذي ذكرناه أعلاه من القدرات الخارقة والمعجزات المبهرة؛ والتي لم يصرّح - عليه الصّلاة والسّلام - بأنّه يمتلك من أمثالها، بل كان يقول دائمًا للناس كافّة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(سورة فصلت الآيه: 6)، ما الذي يغريهم به محمّد ﷺ كي يتركوا الدّين الذي تدين به الإمبراطورية الرّومانية آنذاك؟ وقد كانوا من أتباعها، والتي كانت في ذلك الزّمان تنظر لقبائل الجزيرة العربية نظرةَ ازدراء وتخلّف، كيف لهم أنْ يتحوّلوا من أتباع عيسى - عليه السّلام - إلى أتباعه؟ وليس له - صلّى الله عليه وسلّم - دولة حضارية كدولتهم لتحْميه وتحمي دعوته، وليس عنده كذلك ما لعيسى مما أخبرَهم به من المعجزات والخوارق والعلم والحكمة؟

محمّد ﷺ لا يحتاج إلى كرامات أو معجزات خارقة ليثبت أنّه على الحقّ المبين، فقد جمع له - سبحانه - كلّ الصفات القياديّة، وأعطاه مِن الحكمة ما لم يعطِها أحدًا من قبله، وأنزل عليه القرآن وهي المعجزة الخالدة، التي تصلح أن تكون معجزة في كلّ زمان ومكان، فبه تمّت الرسالات، وخُتِمَت النبوات، وبه تقام الحجّة على النّاس أجمعين، وقد أُحكِمت آياته من لدُن حكيمٍ خبير.

الفرصة 30

قالَ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ سورة مريم.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: يخاطب الله سبحانه محمدًا ﷺ بقوله أرأيتَ يا محمّد هذا الكافر الذي يزعم أنّه سيؤتى أموالًا وأولادًا، كيف عَلِمَ بذلك؟ هل يعلم الغيب، أم جاءه عهدٌ من الله بذلك؟ الأحاديثُ التي نقلت هذه القصة تُخبر أنّ هذا الكافر هو العاص بن وائل السهمي الذي زعم - استهزاءً - أنّه سيؤتى المال والولد بعد موته، وله قصة طويلة، وبغضّ النّظر عن القصة وتفاصيلها والشخص نفسه والأحاديث التي نقلت ذلك، فخلاصةُ الموضوع: أنّ شخصًا من الكفّار قال إنّه سيؤتى المال والولد، لكن في المقابل - وفي نفس الآيات - يخبر الله تعالى نبيّه أنّ هذا الشخص بعينه سوفَ يُعذّب ويُمدُّ له من عذاب يوم القيامة مدًّا، وأنه سوف يترك كلّ ما عنده من المال والولد ليقابل الله تعالى وحده يوم القيامة؛ فيجازيه على كفره وجحوده.

الشّاهدُ هنا: كيف علم محمّدٌ بأنّ هذا الرجل سيموت كافرًا ليُعَذّبَ بعدها مِن العذاب مدًّا؟ إذا لم يكن محمد ﷺ رسولًا يوحَى إليه، فيكف يخاطر هذه المخاطرة الكبيرة فيُخبِر النّاس كافّة بذلك، ويثبّتَ هذه القصّة في القرآن، الذي سيتلى إلى ما شاء الله، أنّ هذا الرجل سيبقى كافرًا إلى أن يموت؟

أليس في ذلك مجازفة؟ فبإمكان هذا الشّخص أن يُعلن إسلامه فورًا بعد ما سمِع هذه الآيات النّازلة بحقّه، ليُوقع محمدًا بحرج كبير، فالقرآن يقول إنّه سيموت على الكفر، وها هو قد أسلم (تظاهرًا)، هل يبقى لقول محمد وما نطق به من القرآن أيّ قيمة بعد ذلك (حاشاهما)؟ حتّى لو فعل ذلك أمام الكفار أو المتردّدين منهم؛ بل وحتّى الذين آمنوا بدعوته عليه الصلاة والسّلام، سيكون موقفهم صعبًا جدًّا أمام الكفار، بل وقد يتزعزعُ إيمان قسمٍ منهم، لماذا يوقعُ محمّد ﷺ نفسه بهذا الحرجِ الكبير إذا كان الكلام مختلقًا مِن عنده وليس من عند ربّه سبحانه، ما الذي اضطرّه لذلك؟!

لكنْ ما على محمد ﷺ إلّا البلاغ، ثقةً بربه سبحانه، بأنّ هذا الرجلَ سوف يموت على الكُفرِ ويقف أمام خالقه ليحاسبه على تطاوله على محمّد ﷺ وعلى الإسلام، وبعدها سينالُ عقابَه من العذاب الأليم، فصلّ اللّهم على الصّادق محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفرصة 31

قالَ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ سورة مريم.

وقال تعالى - أيضًا - في سورة الإسراء: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

وقال سبحانه في سورة النّجم: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾

مفهومُ الآياتِ في السّور الثّلاثة، وملخّصُها:

في سورة مريم: أنّ النبيّين كانوا إذا سمعوا كلام الله سبحانه يبادرون بالسّجود والبكاء.

في سورة الإسراء: اعْلموا يا مَن آمنتم بأنّ محمدًا رسول الله، ويا مَن لم تؤمنوا بأنّه رسول الله، ولا القرآن هو كلام الله، اعلموا جميعًا بأنّ الذين أوتوا العلم من قَبْله من أهل الكتاب، إذا يُتلى عليهم هذا الكتابُ الذي جاء به محمد؛ يبادرون بالسّجود والبكاء.

في سورة النّجم: أنّ محمدًا نذيرٌ للناس، وهو كمثل المنذرين الذين سبقوه من الأنبياء والمرسلين، وأنّه - صلّى الله عليه وسلّم - يبشّر

الكافرين بقرب مجيء يوم القيامة؛ الذي لا يعلم عن موعدِ مجيئه إلّا الله تعالى، وأنّ الكافرين يعجبون من هذا القرآن، ويضحكون منه ولا يبكون.

الشّاهدُ هنا: محمد ﷺ يعرضُ نفسه على أنه قدوة للنّاس، وأنّه رسول الله، الذي ينزل عليه كلام خالقه وخالق النّاس أجمعين، فحريّ به حينما ينزل عليه القرآن، أو إذا يسمع أحدًا من النّاس يتلو القرآن، أو قام هو بتلاوته؛ أن يكون أكثرَ الناس بكاءً وأكثرهم سجودًا، وذلك لأنه قرأ على الناس الآياتِ أعلاه، التي تخبر بأنّ النّبيين السابقين، ومَن آمن بهم، حينما كانوا يسْمعون كلام الله؛ يبادرون بالسّجود والبكاء، وعلى العكس من ذلك فإنّ الكافرين والمنافقين لا يبكون حينما يسمعون القرآن، بل ويضحكون منه.

فبما أنّه يعرضُ نفسَه على أنه قدوة للنّاس، وأنه نبي مثل باقي الأنبياء، فعليه إذًا أنْ يبكي حينما يسمع كلام الله، أو حين تلاوتِه له، أو حينما ينزل عليه، وهنا يجبُ أن يشتدّ به البكاء؛ لأنّ كلامَ الله ينزل عليه هو بنفسه «كما يدّعي»، فإذا كان أهلُ الكتاب الذين ذُكِروا في الآيات أعلاه يهرعون بالبكاء حين سماعِ القرآن، فهو من بابِ أوْلى، عليه أن يبكي حينما ينزل عليه، وحينما يقرأه، أو يسمعه، وخاصّةً في أمر يتعلّق بالآيات التي تذكر الجنة والنار، وهي كثيرة جدًّا.

وهنا بيتُ القصيد: لو كان محمدٌ كاذبًا بادّعائه أن القرآن هو كلام الله، فكيف يستطيع أنْ يُبكي نفسه مئات المرات، وهو يعلم أنّ كلّ ما يقوله كذب في كذب؟!، كيف يستطيع التّظاهر بالبكاء الحقيقي، وهو يعلم بأنّ الكلام الذي يدّعي أنّه كلام الله ما هو إلّا كلامُه هو، ومن تأليفه هو، أليس هذا ممّا لا يستوعبه عقلٌ مُنصف؟ لماذا يضع محمد نفسه في هذا الموْضع الصّعب؟ ما الذي دعاه لذكر قضية البكاء بهذا الشّكل في القرآن؟ لماذا

يحرج نفسه كلّ هذا الإحراج؟ كيف لإنسانٍ يكذب على النّاس باختلاق قصص وحكايات تُعدُّ بالمئات، ويضعها في كتابٍ ثمّ يقول إنّه من عند الله، ثمّ يبكي متأثّرًا بها، وهو يعلم أنّها اختلاق وكذب؟ وحتى تكتمل صورة النّبي الباكي، فعليه أنْ يبكي أمام زوجاته وأهله وأصحابه، ومَن يعرف مِن النّاس، فهو خاتم النبيين، وأنّ الله تعالى أرسله للناس كافّة، وأنّه قدوة لهم، كما هو مبيّن في القرآن، فمن الطبيعي أنْ يكون هو أكثرَ النّاس بكاءً، فعليه أنْ يبكي آلاف المرّات على مئات القصص والأخبار الكاذبة التي ألّفها، يبكي حينما يتظاهر (حاشاه) أنّ القرآن ينزل عليه، ويبكي إذا بدأ يقرأ القرآن، ويبكي حينما يسمعُ القرآن، ويبكي حينما يقف في الصّلاة لأنّه سيقرأ القرآن.

مَن باستطاعته أن يضع نفسَه في هذا الموقف الصعب؟

ولماذا كلّ ذلك!؟!

هل يستطيع أحدٌ من البشر أنْ يكون كذّابًا وممثلًا بهذا الشّكل العجيب والمستمر؟

أدْعوك يا مَن تقرأ كلامي هذا؛ للتدبّر قليلًا، والإنصاف من نفسِك، ومن محمّد ﷺ سيد الخلائق أجمعين.

ما كان عليه - صلّى الله عليه وسلّم - إلّا أنْ يقرأ ما نزل عليه من ربّه مِن الآيات، ربّه الذي يعلم بأنّه أكثر الناس خشية له سبحانه؛ لأنّه أكثرُهم علمًا به تعالى، فمِن الطّبيعي أن يبكي - صلّى الله عليه وسلّم - إذا نزلت عليه الآيات، أو إذا قرأها على النّاس، أو إذا سمعها من غيره.

فصلّ اللّهم على البشير النّذير الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

الفرصة 32

قالَ تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾سورة طه.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يأمر الله تعالى محمدًا ﷺ بأن يأمرَ زوجاته التّسعة وأولاده، وكلّ أهله، بالقيام بواجب أداء الصّلاة، والصّبر على أداء هذا الواجب، وألّا يشغل محمد نفسَه بالرّزق، فالرزق قد تكّفل به ربّه سبحانه، المهمّ في ذلك؛ هو اتّقاء غضب الله تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته.

الشّاهدُ هنا: كما هو معلومٌ فإنّ محمدًا أمر مَن آمن به، أن يقوموا بأداء الصّلاة، فهي واجبةٌ وفرض على كلّ مسلم، ويجبُ أن تؤدّى خمس مرّات في اليوم، منذ بلوغ الإنسان إلى غايةِ مماته، ويجبُ أن يكون جسمُ المسلم طاهرًا، وكذلك ملابسه التي يؤدّي بها الصّلاة، ويجب أن يكون المكان الذي يصلّي فيه طاهرًا أيضًا، وعليه أن يتوضّأ قبل الصلاة حتى لو كان الماء باردًا، وإذا جامع زوجته أو احتلم فعليه أن يغتسل؛ كي تكون صلاتُه صحيحة، وعليه أن ينتبه إلى أوقات كلّ صلاةٍ دخولًا وخروجًا، وعلى اتّجاه القبلة، وعليه أن يتعلم ماذا يقولُ في الصّلاة، وعشرات التوجيهات والأوامر الأخرى الخاصّة في مسألة الطهارة والوضوء الواجبة للصلاة؛ والمتعلقة بكيفيّات أداء الصلاة، وما يجب على مَن يؤدّيها معرفته كي يتقبّلها الله تعالى منه، وعليه فإنّه يحتاج لأدائها صبرًا واصطبارًا كبيريْن.

فهل مِن المعقول أن يختلق محمدٌ أمرَ الصّلاة والوضوء وتوابعهما المتعبة جدًّا، ويأمر زوجاته وأولاده وأهله بهذه الصلاة، التي تحتاجُ إلى صبرٍ كبير ومشقّة مستمرّة؛ حيث أنّهم سيقومون بأدائها خمسَ مرّات في اليوم مدى الحياة، وفي نفس الوقت هو يعلم أنّ الصّلاة وتوابعها الكثيرة عبارة عن قصة قد اختلقها هو لا أساسَ لها؟ هل يُكره كلّ زوجاته وأبنائه وأهله على أمرٍ مختَلَق؟ لماذا يأمرُهم بهذا الأمر الشّاق كلّ يوم خمس مرّات إلى أنْ يموتوا؟ لماذا يأمرهم بهذا الأمر الصّعب، والذي يحتاج إلى مجاهدةٍ مستمرّة، هل يُعقل أنْ يرى كلّ يوم زوجته عائشة وابنته فاطمة وأمّ كلثوم، وغيرهنّ من زوجاته وبناته، يقمْن للوضوء فجرًا في الجوّ البارد لأداء الصّلاة، وهو ينظر إليهم كيف يجهدون أنفسهم بهذا الأمر، وهو يعلم أنّه قد كذب عليهم؟

فإنْ سلّمنا أنّه قد كذِب عليهم هذه الكذبة الكبيرة، واختلق أمر الصّلاة والوضوء وتوابعهما؛ كونه لا يملك في نفسه وروحه ذرّة رحمة أو شفقة (حاشاه)، كيف يقنعهم بهذه الصلاة ويأمرُهم بها، وهو بنفسِه لا يؤدّيها أمامهم؟ المنطق السليم يقول إذا أراد محمّد ﷺ أنْ يطيعوه في أمر الصلاة فعليه أوّلًا أن يؤدّيها هو نفسه، بل ويكون أحرصهم عليها، يؤدّي ما أمرهم به؛ أنْ يصلّوا خمس صلوات في اليوم مدى الحياة، وعليه قبلها أنْ يتوضّأ وتكون ثيابُه طاهرة وجسدُه طاهرًا، والأرض التي يصلي عليها طاهرةً، ويتوجّه للقبلة، وكلّ ما يلزم من توابع الصّلاة والوضوء والغسل قبل الأداء وأثنائه وبعده.

لماذا يعذّب نفسَه - صلّى الله عليه وسلّم - بهذا الشّكل؟ ما الدّاعي لذلك؟ هل هو مضطرّ لاختلاق أمر الصلاة بهذه الكيفيّات الصّعبة، والتي

تحتاج إلى صبرٍ وجهد كبيريْن؟ لماذا يشقّ على نفسه، وعلى أحبّ الناس إليه؟ لماذا لا يكون أمر الصّلاة أسهلَ من ذلك بكثير؛ مثلًا: تؤدّى بلا وضوء، ولوقت واحدٍ فقط، وليوم واحد في الأسبوع؟

لو فكّر كلّ عاقلٍ في هذا الأمر؛ سيجد أنّه من الصّعوبة جدًّا أنْ يعتقد أنّ محمدًا هو الذي اختلق أمر الصلاة.

فالحقيقةُ التي سيتوصّل لها العاقل - لو أنصف قليلًا - أنّ الحكيم الخبير سبحانه هو الذي أمر رسولَه الأمين بأداء الصّلاة، وهو الذي أمره كذلك أنْ يصبر على أدائها بأحسن وجْه، ويكون قدوةً لأهله وللناس أجمعين، ويخبرهم أنه من الواجب عليهم أنْ يؤدّوها كما أدّاها هو - عليه الصّلاة والسّلام -، فقد جعلها الله سبحانه عمودَ الدّين، ومِن فرائضه الخمسة، فهي مقدّمة على الصّيام والزكاة والحج، وما يتقدّمها من دين الإسلام إلّا شهادة لا إله إلّا الله محمد رسول الله، وهي أوّلُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة من الأعمال، فإنْ صلُحَت صلُحَ سائرُ عمله، وإن فسُدت فسدَ سائر عمله.

الفرصة 33

قالَ تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾سورة الروم.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: انهزمت الرّومُ في إحدى المعارك في عهْد محمّد، وسوف ينتصرون بعد عدّة سنين، (بين ثلاث وتسع سنوات)، ولله تعود الأمور كلّها، وسيفرح المؤمنون بانتصار الرّوم، وأنّ هذا الحدث سيقع حتمًا؛ لأنّه وعدٌ من الله القادر على كلّ شيء، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

الشّاهدُ هنا: مَن الذي أخبر محمّدًا، وأكّد له، بأن الروم سينتصرون بعد عدّة سنوات، وسوف يفرح المؤمنون بهذا النصر المؤكّد للرّوم، وأنّ هذا النصر هو وعدٌ من الله تعالى؟

كيف لمحمدٍ أن يتوصّل إلى نتيجةٍ استشرافيةٍ مستقبليةٍ يقول عليها إنّها حتميّةُ الوقوع، بحيث يضعها في الكتاب الذي يقول عليه أنّه قد نزل عليه من عند الله؟!، وهذه النتيجة تتلخص بأنّ الرّوم سوف يواجهون عدوّهم في معركة أخرى في المستقبل القريب، وأنّ هذه المواجهة ستحدث بعد ثلاث إلى تسع سنوات، وعندها سيفرحُ المؤمنون بهذا النّصر الذي تحقّق للروم، وأنّ ذلك الأمر سيحدث حتمًا؛ لأنه وعدٌ من الله.

لو كان محمدٌ كاذبًا بادّعائه أنّه رسول الله، فكيف يجرؤ على تثبيت انتصار الرّوم على عدوهم بعد عددٍ من السنين، لا يقلّ عن عشْر سنين، ولا يتجاوز التسع؟ فلو فرضنا أنّ هذه المواجهة لم تحدُث أصلًا، وأنّها لو حدثت فإنّها لن تحدث في الزّمن الذي حدّده محمّد، وحتّى لو أنّها حدثت في الزمن الذي حدّده، ثمّ أدّت هذه المواجهة إلى خسارة الروم أمام عدوهم؛ أليس كلّ ذلك واردًا؟!

ما هو موقفُ محمّد أمام الناس حينها؟ سوف يشكك أصحابه بالقرآن أصلًا، وبكونه رسولًا، فكيف ينزل خبر حادثةٍ من السّماء، ستقع في المستقبل القريب، الذي لا يتجاوز على أكثر تقدير تسعَ سنوات، ثمّ لا تحدث هذه الحادثة أبدًا، والتي وعدَ اللهُ أن تحدث، وأنّ المسلمين حينها سوف يفرحون، كما هو مبيّن في الآيات أعلاه؛ ألا يشكّل ذلك إحراجًا كبيرًا له عليه الصّلاة والسّلام؟ هل هو مضطرّ لهذه القصة وتحديد الزّمن والنتيجة المذكورتين فيها؟

فعلى اللّبيب المنْصِف أنْ يدرك أنّ هذه القصة والزمن والوعد والفرح المذكورة فيها؛ ليستْ من تأليف محمد، وإنّما نزلت من عالِمِ غيبِ السّموات والأرض، الذي يعلم ما كان.. وما سوف يكون، فليس من العقل في شيء أن يورّط محمد نفسه بهذا الشّكل الواضح الصّريح، والذي سيكون - عاجلًا أم آجلًا - سببًا لتكذيبه وتكذيب كلام ربّه - عزّ وجلّ - من أقرب المقرّبين له، فضلًا عن المتربّصين به، الذي ذكر في كتابه العزيز أنّ هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو تنزيلٌ من حكيم حميد، فكيف يخبر عن حادثة بشكل جازمٍ موعود به، ثمّ لا تحدُث أبدًا؟

فصلّ اللّهمّ على الصّادق الأمين الذي بلّغ كلامَ ربّه العزيز الحكيم.

الفرصة 34

قالَ تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ وفي نفس السورة أيضًا، بعد بضع آيات، يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة العنكبوت.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: الآيتان الثّانية والثالثة تعنيان أنّ الله تعالى حتمًا سيمتحنُ ويبتلي مَن يؤمن بما جاء به محمد ﷺ، فبعضُ النّاس سينجح في هذه الامتحانات والابتلاءات والمصائب، وبعضهم سيفشل، والذين سينجحون هُم الصّادقون، أمّا الفاشلون فهم الكاذبون؛ لأنهم ادعَوا الإيمانَ ظاهرًا، ولم يدخل قلوبهم وعقولهم بعد.

أمّا الآيتان العاشرة والحادية عشرة فتعنيان؛ أنّ بعض الناس الذين يقولون نحن مؤمنون بدعوة محمد ﷺ ثمّ يلاقون بسبب ذلك العذاب والابتلاءات والمصائب، سينقسم هؤلاء النّاس إلى فئةٍ تصبر وتحتسب، وترى أنّ هذه المصائب التي جاءتها بسببِ إيمانها بدعوة محمّد ﷺ؛ لا يمكن أن تقارن، بأيّ حالٍ من الأحوال بعذابِ الله يوم القيامة للذين لم يؤمنوا بدعوته ﷺ، وعليه فإنّ هذه الفئة تعتبر من فئة المؤمنين الصّادقين، والفئة الأخرى (غير المؤمنة) سوف تعتقد أنّ صعوبة هذه الابتلاءات التي

تمرّ بها بسبب إيمانها بدعوة محمد ﷺ؛ كصعوبةِ عذاب الله يوم القيامة، وهذه الفئة - في حالِ انتصار المؤمنين - ستدّعي أنّها كانت في صف المؤمنين، وَمن اتّصف بصفات هذه الفئة فهو مِن المنافقين.

الشّاهدُ هنا: في عُرف النّاس والحسابات البشرية، أنّ أيَّ شخصٍ يريد أنْ يتّبعه الناس أو أن يتزعّمهم، إمّا لغرض مادي أو لغرضٍ أخلاقي وإصلاحي أو لغرض الجاه والرياسة، أو لأجلهم مجتمعين؛ فعليه أن يكلّمهم بما يرغبهم به، ويبتعد عمّا ينفّرهم عنه، وقد قرأنا في كتبِ التّاريخ عن أولئك المصلحين والفلاسفة وعلماء الاجتماع والقادة العظماء؛ الذين يريدون أنْ يغيّروا الوضع الحضاري أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي إلى وضعٍ هُم يروه أفضل وأحسن، أنّ فعلهم ومشاريعهم ورؤاهم حينما يكون التردّي حضاريًّا في مجتمع ما مثلًا، ويُراد لهذا المجتمع إصلاحًا جذريًّا، يقوم أولئك الفلاسفة وعلماءُ الاجتماع أوّلًا بتقديم رؤىً فلسفيّةً تصنعُ فضاءً جديدًا لتحفيز الأفكار الإصلاحيّة غير التقليدية؛ والتي سَتُنشِئ أسئلة كبيرة لدى الطّبقة المثقفة من الناس في ذلك المجتمع، السّمة العامّة التي تميّز هذه الأسئلة الكبيرة هو الاعتراض على المسلّمات الحياتية الموروثة التي تحكم معاش وعيْشَ الناس وثقافتهم، فتتحوّل هذه الأسئلة الكبيرة - فيما بعد - إلى ثقافة عامّة بين الناس يتولّد منها حراكٌ جماهيري يطالب بالتغيير الجذريّ للواقع وفق الرّؤى التي أطلقها الفلاسفة من قبل بينهم، فأينَ هذا من دعوة محمّد ﷺ؟ فهو لم يحتَجْ لكلّ هذا التّسلسل لإحداث التغيير المجتمعي.

رؤى فلسفيّة يتولّد منها فضاء للأفكار الجديدة ثمّ ينبثق من ذلك أسئلةٌ كبيرة، ثمّ ثقافة مجتمعية تنتج حراكًا جماهيريًّا تغييريًّا، لم يحتجْ

محمّدٌ لكلّ هذا، بل جاءهم بالدّعوة المباشرة الواضحة البيّنة بأنّه رسول مرسَل من عند الخالق الذي خلقهم، وهو وحده - سبحانه - الذي يعلم ما يصلحهم ويصلح معاشَهم وحياتهم، وعلى النّاس أن يؤمنوا بأن هذا القرآن هو كلامُ الله المنزّل على رسوله محمد، وعليهم أن يعبدوا خالقهم ولا يشركوا به شيئًا.

دعوةٌ تخاطب الناسَ بأوضح عبارة، وتطلب منهم أن يشهدوا ألّا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ويتركوا الآلهة التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم، وأنْ يتبعوا الرّسول محمدًا في كلّ ما ينزل عليه من الوحي، دون تردّد، ويسلموا تسليمًا.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنّ كلّ الحضارات الإنسانية التي ولِدت لم تتضمّن - في رؤاها الفلسفية والأسئلة الكبيرة المنبثقة عنها - أيّ كلامٍ موجّه للنّاس، يتضمّن وعدهم بشكل حتميّ بالابتلاءات والاختباراتِ التي ستنزل عليهم من الله، كوْنهم آمنوا بهذه الرّؤى الفلسفية الجديدة، وأنّ مَن تجاوز هذه الابتلاءات بنجاحٍ فإنّه صادق بإيمانه، ومَن لم يصبر على هذه الابتلاءات فإنّه يعتبر كاذبًا؛ لأنّه قد ساوى بين العذاب الذي سيجدُه في حياته، والذي سيتمثّل بالابتلاءات والمصائب الكبيرة، وبين عذاب الله الغيبيّ وغير المشاهد، فالصادق هو مَن اختار الطّريق الذي قد يؤدّي إلى عذابات ومصائب الدنيا ورجّحه على الطريق الذي يؤدّي إلى عذاب الله له يوم القيامة، وإنْ كان هذا العذاب هو عذابًا غيبيًّا لم يره، ويتحقّق من وجوده، وذلك لأنّ إيمانه بعذاب الله يوم القيامة هو إيمان حتميّ مطلَق؛ لأنّه صدّق بكلام الرسل تصديقًا يقينيًّا، أمّا الذين لم يصبروا على امتحانِ الله لإيمانهم في

الدنيا، ويساوون بينه وبين عذاب الله يوم القيامة؛ فأولئك هم المنافقون المطرودون من رحمة الله.

وأمّا إذا كان التّغيير الذي يطلبه أيّ إنسان لمجتمعٍ ما ينحصر في استحداثِ برنامجٍ سياسيّ جديد (أو اقتصادي أو اجتماعي)، فلم نسمعْ في يوم ما، أو نقرأ في كتب التاريخ أو حتّى في واقعنا المعاصر؛ أنّ هذا الذي يطلب مثل هذا التغيير في مجتمعه، يقوم بكتابة دستور يُخبر فيه هذا المجتمع بأنهم سوف يبتليهم الله تعالى ويختبرهم إذا آمنوا ببرنامجه السياسي أو الاقتصادي أو المجتمعي، وأنهم سوف يُعتبرون مؤمنين صادقين في حالةِ أنّهم صبروا على هذه الابتلاءات التي سوف تواجههم، وأنّ هذا هو دليل منهم على أنّهم لا يساوون بين "عذاب" الله لهم في الدنيا وعذابه الغيبي لهم في الآخرة، في حالةِ عدم استجابتهم لبرنامجه، وإيمانهم به، أمّا إذا لم يصبروا على "عذاب" الله لهم في الدّنيا حال اختباره لهم، فإنهم يعتبرون من المنافقين لأنّهم ساووا بين عذاب الله لهم في الدنيا - جرّاء إيمانهم - بأيّ من هذه البرامج وبين عذابه الغيبي لهم في الآخرة.

لماذا لم يتجاوز محمّد ﷺ هذه المعادلة طمعًا لترغيب الناس بالدّعوة التي دعاهم لها؟ إذا كان هو كاذبًا (حاشاه)؛ فلماذا لم يدْعوهم إلى عبادة الله وحده، وبالإصلاح المجتمعي والسّياسي والاقتصادي دونَ تخويفهم بأنّهم لو آمنوا بدعوته فإنّ الله سيبتليهم ويختبرهم في الدّنيا ليعلم الكاذب منهم والصّادق؟ هو يريد أنْ يؤمن به أكبر عددٍ من الناس كي ينصروا دعوته، فلماذا يأتي بمعادلةٍ لم يأتي بها أي فيلسوف أو قائدٍ من قبْل؟ حتى لو ادّعى - كاذبًا، (حاشاه) - أنّه رسول أرسِل من عند الله، فلا يستدعي ذلك أنْ يخبرهم بهذا الخبر الذي بظاهره سيكون منفّرًا للنّاس

عن الدخول في دعوته والاستجابة له، فهو يبشّرهم بالعذاب والمصائب في الدنيا التي يحبّونها، والتي يتمنّون أن يعيشوا فيها معززين مكرمين آمنين، يبشّرهم بذلك العذاب إنْ هم آمنوا بدعوته، ويقتضي هذا الإيمانُ أنْ يصدقوا تصديقًا يقينيًّا بأنّ العذاب الشديد سينتظرهم يوم القيامة - في حالة كونهم لم يؤمنوا بدعوته صلّى الله عليه وسلّم، فالسؤالُ الكبير هنا: ما الذي سيدعوهم في الحساباتِ البشرية للدّخول في دعوة محمد وفق هذه المعادلة؟

كلّ ما يطلبه الإنسان في هذه الحياة هو حصوله على راحة البالِ والعيش الكريم والآمان والاستقرار، بينما يخبرهم محمد بأنّ إيمانهم بدعوته سيفقدهم الأمن والأمان والاستقرار، ويخسرون أموالهم ويبتَلون في أولادهم وأزواجهم وأهليهم، وليس هذا فحسب؛ بل إنْ هُم لم يصبروا على هذه الابتلاءات الكبيرة في النفس والمال والأهل والولد فإنّه سيلاقيهم العذاب يومَ القيامة؛ لأنّهم فشلوا في اختبار الله لهم في هذه الحياة، وأضفْ إلى ذلك سيعتبرون من المنافقين.

لو كان محمّد ﷺ كاذبًا (حاشاه) في دعواه؛ لما أقدم على تثبيتِ هذه المعادلة الحتمية في الكتاب الذي يدعي أنه كلام الله، وذلك لأنّه لو أراد أحدٌ من البشر أن يتوقّع - جدلًا - عدد الذين سوف يستجيبون له، بعدما أطلق هذه المعادلة حينما كان في مكّة، فسيكون هذا العدد ضئيلًا جدًّا، وهذا ما حصل فعلًا، فقد بقيَ مستضعفًا في مكة، هو ومَن آمن به لقلّة مَن آمن بدعوته؛ حيث لاقوا أشدّ أنواع العذاب، وفقدوا ممتلكاتِهم وأعمالَهم، ولم يبقَ لهم أيّ أحدٍ يحميهم في مكة، فقرّر محمد ﷺ الهجرةَ إلى بلد آخر، كي يحافظ على مَن تبقّى له مِن الذين آمنوا به، فطيلة ثلاث

عشرة سنة التي قضاها محمد ﷺ في مكّة يدعو الناس للإيمان بدعوته لم يستجبْ له إلّا أقلّ من ثمانين بين رجل وامرأة.

فما الذي اضطرّ محمدًا ﷺ لوضع هذه المعادلة؟ لقد وضِعَت هذه المعادلة في القرآن، وستكون مقروءة ومعلومة على مرّ الدّهور، وكلّ مَن يريد أن يدخل في الإسلام لا بدّ له أن يعلم بها.

أليسَ من المعقول لو كان محمّد ﷺ كاذبًا (حاشاه) أن يبشّرَ الناس بالعدل والمساواة والحياة الكريمة وعبادة الله وحده والحرية والراحة الأبدية، وكلّ ما من شأنه أن يرغّب الناس في دعوته، وحسب؟

لكنّ الله تعالى يعلمُ - بحكمته وعلمه - أنّ دعوة محمد ﷺ يحتاج فيها، في بداية انطلاقتها خاصّة، إلى رجال كالجبال في إيمانهم، يتساوى علمُهم بالغيب الذي أخبرهم به محمد ﷺ مع علمهم المشاهد ببصرهم وسمعهم وما يملكونهُ من حواسّ، وكذلك يحتاج الإسلامُ في وقت ضعفه، وفي أي زمان ومكان؛ إلى نفس صنف هؤلاء الناس، الذين يكونون مستعدّين أن يضحّوا بأنفسهم وأهلهم وأولادهم وأموالهم من أجل أن ينتشر الإسلام بين الناس، وينفّذ حكم الله في الأرض، حتّى يعمّ السّلام والعدل والمساواة، ولأجل أن يُعبد الله لا شريك له، وهو الغايةُ العظمى من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

فلوْ كانت دعوة الرّسول كباقي الدعوات الدنيوية التي تعِد الناسَ بالعيش الآمن والمستقرّ والرفاهية الاقتصادية، لاتّبعَها كثيرٌ من الناس وهُم ليسوا أهلًا لها، فهم غير مستعدّين للتّضحية في سبيلها بأنفسهم وأموالهم وكلّ ما يملكون، فعندها سيتضعضع صفُّ المؤمنين الصادقين،

ويختلّ سيرهم، وذلك لتراجع نفرٍ كبير منهم لأيّ ابتلاء أو امتحان سوف يواجهونه مِن جرّاء دخولهم هذا الدّين، وذلك لعدم استعدادهم النفسي لتقبّل هذا الابتلاء، فهُم قد دخلوا الإسلام مصلحة وطلبًا لدنيا فحسب، ولعدم علمهم بأنّ الله تعالى سوف يبتليهم ليعلمَ صِدْقهم مِن كذبهم (وهو العالم سبحانه مِن قبْل، ومِن بعد، بما سوف يؤمنون به وما سوف يفعلونه، فهو سبحانه علّامُ الغيوب، وهو يعلم السرَّ وأخفى).

الفرصة 35

قالَ تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾سورة الأحزاب.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: لم يكن محمّدٌ أبا أحدٍ من أصحابه، ولكنْ هو رسول الله، وهو آخرُ نبيّ يبعثه الله للناس، والله عليم بكلّ شيء.

الشّاهدُ هنا: ما الذي يمنعُ أنْ يدعي شخص، في نفس زمان محمّد ﷺ، أو بعد موته؛ بأنّه نبيّ يوحى إليه، مثلما ادّعى محمّد ذلك؟ ما هي المشكلة؟ فعلى حين غرّة ادّعى محمد أنّه نبيّ، ولم يرَ النّاس أيَّ ملَكٍ يأتي معه يؤكّد لهم ادّعاءه، ولم يشاهدوا أحدًا من السّماء ينزل بآيات القرآن عليه، فليس هناك صعوبة بأنْ يقوم رجلٌ آخر من مكة، أو من أي مكان في العالم؛ بادّعاء أنّه نبي يوحى إليه، أليس ذلك ميسورًا لأيّ أحدٍ كان طموحًا وذكيًّا، ويريد أيّ مصلحة من مصالح الدنيا لنفسه، أو ليقوم بالتّشويش على محمد في ادعائه؟

وإذا كان الأمر ميسورًا بهذا الشّكل، ولأيّ أحد، فلماذا يقول محمّد أنّه خاتم النبيّين؟ أيْ لا يمكن أن يأتي نبي من بعده أبدًا، ولنْ يكون هناك كتابٌ خاتمٌ مرسلٌ للنّاس من عند الله سوى القرآن الذي جاء به، فلو كان محمّد كاذبًا في ادعائه بأنه رسولٌ يوحى إليه، وأنّه خاتم النبيين، فلماذا يتحدّى الناس جميعًا في عصره وما بعده من العصور والأزمان، بعدم قدرة أي أحدٍ، ومهْما كان طموحًا وعبقريًّا؛ أنْ ينجح في تمرير ادّعائه

للناس بأنّه نبيّ مثله أيضًا، ما هو الضّامن لمحمد، لو كان مدّعيًا وكاذبًا (حاشاه)، بألّا يقلّده أحد من الناس في كذبته؟ الأمرُ أصبح سهلًا، أنْ يقوم رجل طموح وذكي بعرض دعوته وبرنامجه الإصلاحي المتعلّق بحياة الناس، ويخبرهم بأنهم لو أجابوه سيجعلهم سُعداء في حياتهم الدنيا وبعد مماتهم، ويأتيهم بكلام فصيحٍ يبهرهم به، ويمثل دور الرجل الزاهد المصْلح، ويقول إنّه أُرسِل من عند الله، وبهذا يَبطُل ادّعاء محمد بأنّه خاتمُ النبيين، وينكشف أمره، وتذهب مصداقيّته، ويتساوى وغيره في هذا الادّعاء الكاذب.

أليس ذلك مما يمكن حصوله؟

الذي حصل، والذي قرأناه في كتب التّاريخ، أنّ بعض الرجال ادّعوا النبوّة بعد وفاة محمد ﷺ، وأنّ هذا الأمر سيستمرّ حدوثه، فالكذّابون الأذكياء موجودون في كلّ زمان ومكان.

والسّؤالُ الكبير هنا: مَن مِن هؤلاء الذين ادّعَوا النبوة بعد محمّد قد نجح في دعوته، بحيث استمرّت وآتت ثمارها إلى يومنا هذا؟ وكان ولا يزال له أتباعٌ يدافعون عنه ويمجدونه ويخلدونه في عقولهم وحياتهم؟

الجوابُ يسيرٌ جدًّا: لا يوجد أحدٌ ادّعى النبوّة بعد محمد إلّا وقد فُضِحَ كذِبُه وانكشف أمره، ولم تسلم دعوتُه، ولم تستمرّ.

مَنْ منَ النّاس استطاع أن يأتي بمثل القرآن الذي جاء به محمد ﷺ؟ بل مثل سورةٍ واحدة منه؟ وقد تحدّى الله في كتابه النّاس جميعًا، بحيث يكون بعضهم لبعض سندًا ومعينًا، على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن ولو بمثل سورة واحدة منه، ومازال التّحدي قائمًا إلى يومنا هذا، لم يستطعْ فطاحلُ

اللغة من أعداء محمد، وعلى مرّ العصور، أنْ يؤلّفوا ولو سورة واحدة مكوّنة من عشْر كلمات، مثل سورة الكوثر مثلًا.

كان هذا هو التحدّي الأوّل، أمّا التحدّي الثاني، فهو الذي ذكرناه آنفًا، أنّ محمدًا خاتم النبيين.

لو سألنا أيّ مثقفٍ في هذا العالم السّؤالَ التالي: مَن الرجال الذين "ادّعَوا" أنّهم رسل الله وأنبياءه؟ سيجيب بالجواب التالي: آدم، إدريس، نوح، إبراهيم، لوط، و..... داوود، وسليمان، موسى، عيسى، محمد. ثمّ يقف عندها ولا يكمل، سواء أكان مصدّقًا بأولئك الأنبياء أو كان مكذّبًا.

لم تفلحْ أيّ محاولة بعد موت محمد ﷺ، ومن أي شخص، وإلى يومنا هذا، بادّعائه أنّه نبي يوحى إليه؛ إلّا وقد أصابَ دعوته الفشلُ الذّريع، وانكشف أمرُه، ولم يعدْ لذكره أيّ أهمية بين الناس.

فكيف يقول محمد ﷺ على نفسه بأنّه خاتم النبيين، لو كان - حاشاه - كاذبًا أصلًا في دعواه بأنّه رسول الله؟ ألا يكون في ذلك مجازفةٌ كبيرة قد تنسف ما بناه كلّه؟ فقوله بأنه خاتمُ النّبيين تمثّل معلومةً سماويةً قاطعةً محددةً، فأيّ خللٍ فيها ستُبطل تمامًا كوْنها معلومةً قطعيّةً منزّلةً من ربّ العالمين، وبذلك سيبطل كلّ ما جاء به عليه الصّلاة والسّلام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفرصة 36

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾سورة الأحزاب.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يأمر الله تعالى النبي ﷺ أن يقولَ لأزواجه وبناته وكلّ نساء المؤمنين؛ بأنّ الله قد أوجب عليهنَّ لبسَ الحجاب، فأمر الحجاب يمنع أكثرَ الأذى عن النّساء العفيفات.

الشّاهدُ هنا: محمد ﷺ يصدرُ أوامرَ واضحة لا لبس فيها، بأنّ النساء يجب عليهنَّ أن يسترنَ أجسادهنَّ، ويغطّينَ شعورهنَّ ورقابهنَّ، ولقد فهم النّساءُ أمرَ الحجاب بالكيفية المعروفة الآن، وتمّ ذلك على أحسن وجه منذ عهده صلى الله عليه وسلّم. فأوّل النّساء تطبيقًا لهذا الواجب؛ هنَّ بناته وزوجاته، وكنَّ يغطينَ وجوههنَّ أيضًا، واستمرّ تطبيقُ واجب الحجاب إلى يومنا هذا، وليس ذلك خافيًا، فكلّ مَن يذهب إلى بلاد المسلمين الآن سيرى ملايينَ المسلمات المحجبات اللّاتي قمنَ بتغطية رؤوسِهنَّ ورقابهنَّ، ولبسنَ الثياب الطويلة التي تغطّي كلّ أجسادهنَّ، وتركْنَ تزْيين وجوههنَّ.

وكما هو معلومٌ فإنّ النّساء نصف المجتمع، وكلّهُنَّ يرغبنَ أن يكونَ مظهرهُنَّ حسنًا وجميلًا أمام الناس، ويتنافسنَ في ذلك منافسةً شديدةً،

ومن أهمّ الأشياء التي يتنافسنَ في إظهارها هي ملابِسهُنَّ وشَعْرهُنَّ، وما يضعنَ على وجوهِهنَّ ليظهرنَ بشكلٍ أجمل.

فما الذي دعا محمدًا لإصدار هذا الأمر على نصف الجنس البشري؟ ما هو الشّيء العظيم الذي يعطّل مشروعه الكاذب (حاشاه) لو لم يصدر هذا الأمر الكبير؟ لقد حرم أزواجَه، وبناته، وزوجات الصّحابة، وكلّ النساء في زمنه وإلى يومنا هذا، وهنَّ نصف المجتمع في كلّ زمان ومكان؛ من رغبةٍ كنَّ يتمتّعنَ بها، في الحساباتِ البشرية أنّ مثل هذا الأمر سيسبّب مشاكلَ كبيرة جدًّا للآمر به، الذي يريد أنْ يستجيب لدعوته كلّ البشر، رجالهم ونسائهم، صغيرهم وكبيرهم، لماذا يقوم محمّد بإصدار أمرٍ كهذا، قد ينفّر منه ومن دعوته نصف المجتمع؟! ما الذي اضطرّه لذلك؟ ألا يكفي المصاعب الدّاخلية والخارجية التي تواجهه ليل نهار؟ لو كان كاذبًا (حاشاه) لفكّر ألفَ مرّة قبل أن يصدر مثل هذا الأمر.

لكنّه أمرُ الحكيم العليم، الذي يعلم بعلمِه الغيبَ وحكمتِه المطلقة؛ أنّ أمرَ الحجاب من لوازم استقامة الإنسان، واستقامة الأسْرة التي يريد تكوينها، واستقامة المجتمع الذي يعيش فيه، حتّى وإن أدّى ذلك إلى حرمان النّساء بعضَ رغباتهنَّ، فإنّ الله تعالى يبتلي ويمتحنُ عباده كما يشاء فيما يأمره وفيما يقدره، وهو أعلمُ بهم فيما يُصلِح حالهم، ويُحسّن أخلاقهم، ويجعلهم يعيشون آمنين في مجتمعاتهم، ولا يتأتّى العلم بذلك لأي بشرٍ مهْما كان ذكيًّا أو عبقريًّا، لا يتأتّى ذلك إلّا لخالق هذا الإنسان سبحانه وتعالى العليم الحكيم.

الفرصة 37

قالَ تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾سورة الأحقاف.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يأمر الله سبحانه محمدًا ﷺ أنْ يطلب مِن الذين لا يؤمنون بدعوته؛ أنْ يخبروه عن أيّ جزءٍ مِن الأرض، أو عن أيّ مخلوق يعيش عليها، جمادًا كان أم حيوانًا أم نباتًا؛ قدْ صنعتها آلهتهم التي يعبدونها، وأنْ يثبتوا بأنّ آلهتهم المختلفة لها مشاركة مع الله في إدارة الأجسام الموجودة في السّماوات، واطلبْ منهم يا محمد أنْ يأتوك بكتابٍ غير هذا القرآن، أو أيّ بقيّة من علم سابقٍ، من أيّ جهةٍ كانت، ليبرهنوا على أنّ آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، قد خلقت ولو شيئًا يسيرًا من الأرض، أو شاركت اللهَ تعالى في صناعة أو إدارة المخلوقات الموجودة في السماء، من نجوم وكواكب وشُهُب وغيرها، وتحدّاهم ليثبتوا ذلك، إنْ كانوا صادقين بدعواهم.

الشّاهدُ هنا: كيف لمحمّدٍ أن يتحدّى الناس جميعًا بهذا الشّكل، يتحدّى الذين في عصره، والذين سيأتون من بعده؟ كيف يتحدّاهم بأن يأتوا له بأيّ كتابٍ أو أيّ بقيةٍ من علم سابقٍ، يذكرُ فيه عن أيّ آلهة غير الله، إنسان عالم أو أيّ مخلوقٍ آخر، وفي أيّ مكان من العالم، وفي أي زمان، قد قامتْ بخلق أيّ قطعة من الأرض أو أي شيء عليها أو منها، ومن لا

شيء، سواءً أكان المخلوق أصغر نباتٍ أو أصغر حيوانٍ، أو حتّى حفنةٍ من ترابٍ أو حجرٍ أو أي شيءٍ صغيرٍ أم كبيرٍ؛ كالخليةِ والذرّةِ، وتحدّاهم أنْ يثبتوا أيضًا من خلال هذا الكتاب الذي جاؤوا به، أو بقية العلم الذي عندهم؛ أنّ آلهتهم التي يعبدونها من دون الله لها مشاركة مع الله في إدارة السّماوات وصناعتها؟

ما هذا التحدّي الخطير!! إذا كان محمّد كاذبًا (حاشاه) في دعواه بأنّه رسول الله؛ ألا يخشى على مصداقيته واهتزاز مكانته عند الصّحابة، وغيرهم من الكفار، وعلى مر العصور، في حالةِ إنِ استطاع أيّ أحدٍ من الناس، في زمنه، أو بعد مماته، أنْ يأتي بكتاب قديمٍ أو حديثٍ، أو أيّ بقيةٍ من علم قديمٍ أو حديثٍ ليثبتَ من خلال ذلك الكتاب أو هذه البقية من العلم وجودَ جهةٍ ما، في الماضي كانت أم في زمن المتحدي، قدْ قامت بخلق ولوْ ذرةٍ واحدةٍ من الأرض، أو أيّ مخلوقٍ، إن كان جمادًا أو حيوانًا أو نباتًا، صغيرًا كان أم كبيرًا؟ لماذا يخاطر محمّد هذه المخاطرة؟ أكان عنده علمٌ تفصيليّ عن كلّ العلم السّابق لزمانه في الماضي، وفي زمانه الحاضر، وهل عنده كذلك كلّ أخبار الأمم ومكتشفاتهم وصناعاتهم؟ بل أكثر من ذلك، هل يستطيع أيّ بشر مهما أُوتي من علم وفطنة، أنْ يتنبّأ بتطوّر العلم على يد الإنسان، في المستقبل القريب أو البعيد، بما يجعله قادرًا على خلق أيّ شيء من لا شيء؟ كيف يجزم محمدٌ هذا الجزمَ القاطع بهذا التحدّي العريض، بعدم وجود أيّ جهة في الماضي قد قامت بخلق أيّ شيء من لا شيء من هذه الأرض، وليس هذا فحسب، بل ولنْ تستطيع أيّ جهة في المستقبل مِن إيجاد أيّ مخلوق من لا شيء؟ لقد طالبهم بأنْ يأتوا بكتابٍ أو أيّ صحيفةٍ أو بقيةٍ من علم يثبت أنّ الآلهة التي يعبدونها قد

قامتْ بصناعة أيّ شيء من هذه الأرض أو لها أيّ مشاركة في خلق وإدارة السماوات، كان من السهل عليهم أنْ يأتوا بأيّ كتابٍ أو أيّ صُحفٍ تؤيد هذا الادعاء، ومازال التحدّي قائمًا إلى يومنا هذا، هل يستطيع أيّ إنسان مهما أُوتي من علم أنْ يزعم أنّه توصّل لخلق شيء من لا شيء، وبهذا هو يستحقّ العبادة مع الله لأنّه خالقٌ مثله!؟!

مِن غير المعقول لأصحاب العقول أنْ يجازفوا بالقول أنّ محمدًا كان عنده كلّ العلم التّفصيلي السّابق لزمنه، ومنذ بداية التّاريخ، وكذلك عنده كلّ العلم التفصيلي المستقبلي عن مكتشفاتِ الأمم وعلومهم وأخبارهم، وهو قد علِم من كلّ ذلك بأنّه من المستحيل على أيّ جهة، استطاعت أو ستستطيع، لا في الماضي ولا في المستقبل؛ أنْ تخلق ولوْ ذرّة واحدة من هذه الأرض أو من السّماء.

ومادامَ الأمرُ كذلك، فمِن أين جاء محمدٌ بهذا العلم الذي يثبت باستحالة أنْ تقوم أيّ جهة لا في الماضي ولا في المستقبل بخلق أيّ شيء من لا شيء؟

جوابُنا المبنيّ على المنطق السّليم المنصف لهذا السؤال هو: أنّ الله العليمَ بالماضي والحاضر والمستقبل هو الذي أخبر محمدًا بهذه الحقيقة الخالدة الشّاملة.

فصلّ اللّهم على هذا النبيّ الأمّي، وعلى آله وصحبه، وسلّم.

الفرصة 38

قالَ تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾(سورة القمر).

مفهومُ الآية، وملخّصُها: يُخبِرُ الله تعالى بأنّ يوم القيامة قد أصبح قريبًا، وأنّ الكافرين لمّا طلبوا من محمّد ﷺ معجزةً أشارَ لهم إلى القمر، فانشقّ القمر، فلمّا شاهدوا هذه المعجزة أصرّوا على تكذيبه صلّى الله عليه وسلم، وقالوا إنَّ هذا من السّحر الذي سحرهم به، وأنّ سحرَه مستمرّ يسحر به غيرهم أيضًا.

الشّاهدُ هنا: باستطاعة أيّ إنسان في زمن محمد، أنْ يشاهد القمر، وأنْ يشاهد بسهولة الحدث العظيم والهائل الذي تحدّث به محمد، ألا وهو انشقاق هذا القمر.

ومِن غير المنطقيّ أنْ يقول محمد ﷺ إنّ القمر قد انشقّ وهو لم ينشقّ فعلًا، وخاصّة أنه قد ثبّت هذه المعلومة في القرآن، فإنِ ادّعى هذا الادّعاء بأنّ القمر قد انشق، وهو لم يحدُث فعلًا، فسيفتح البابَ بشكل كبير لتكذيبه من قبل المشكّكين به أصلًا، والمكذّبين له، وما هي فائدة ذلك بالنسبة له؟ لماذا يخبرهم أنّ القمر قد انشقّ وهُم لم يروا انشقاقه؟ ولتقريب الصّورة أكثر، تخيّلوا أنْ يقول أحدنا للناس فجأة إنّه قدْ رأى الشّمس أمس في السّاعة الحادية عشرة صباحًا قد انقسمت ثلاثة أقسام، ثمّ عادتْ على هيئتها بعد دقيقة. هل سيصدّقه أحدٌ منّا!؟! سنكذبه

ابتداءً، أو نسخر منه، أو نقول عليه إنّه مجنون، فنفسُ الاحتمالات أعلاه سيتعرّض لها محمد ﷺ، حال كوْنه قد اصطنع قصّة انشقاق القمر وهي لم تحدُث أصلًا. وفوق ذلك، تبيّن الآيات المذكورة أعلاه أنّ الكافرين حينما رأوا انشقاقَ القمر قالوا إنّ هذا من سحر محمّد المستمرّ، فإذا كانت هذه القصة من تأليفه، أي قصة انشقاق القمر، فهنا قد ادّعى محمد ﷺ في هذه الآيات أنّ الكافرين الذين طلبوا مشاهدة معجزة على يديه ﷺ، أنّهم حينما شاهدوها، وهي معجزة انشقاق القمر؛ قالوا عليها إنّها مِن سحر محمد. فهو في هذه الحالة قد تقوّل أيضًا على كفّار قريش، وكذَب عليهم. والسّؤال هنا: كيف يجرؤ محمّد أنْ «يدّعي» أنّ كفار قريش قد قالوا هذا الكلام حينما رأوا انشقاقَ القمر، وهو لم يحدث فعلًا، ولا هم تكلّموا بخصوص ذلك أيّ كلام؟ كيف يُعرّض نفسه لمثل هذا الموقف وهو بين أظهرهم، ألا يجعلهم ذلك يستهزئون منه أمام أصحابه وأهله؟ ألَا يجعل موقفه أمامَ مَن صدّقهُ ضعيفًا؟ هل هو مضطرّ لاخْتلاق مثل هذه القصّة العجيبة الخارقة؟

المنْصِف سيقول إنّه من المستحيل أنْ يختلق محمد هذه القصة العجيبة وهي لم تحدُث أصلًا، ومن المستحيل أنْ يُقَوّل الناس كلامًا وهُم لم يتقوّلوه، بل ويجعل كلّ ذلك في القرآن الذي يدّعي أنّه من عند الله تعالى.

إذًا فانشقاقُ القمر قد حدث، وحدث - أيضًا - أنّ الكافرين قالوا عن هذه الحادثة إنّها سحر مستمرّ.

يبقى كيف نربطُ بين هذه الحادثة وبين كونها معجزة قد حدثتْ تلبية لطلب المكذبين بنبوّة محمد.

الرّبطُ سهلٌ وواضح جدًّا، وهو قولُ الكافرين في نفس الآية؛ أنّ انشقاق القمر قد حدثَ بفعل سحر محمّد لهم، أن جعلهم يرونْ القمر قد انشقّ إلى نصْفين، بعبارة أخرى فإنّ قول الكافرين إنّ انشقاق القمر هو سحرٌ مستمرّ؛ يثبت هذا القول منهم أنّ هذه الحادثة متعلّقة بشيء قد قام به محمد ليثبت لهم صدقَ نبوّته التي يكذّبونها، وهُم قد اتّهموه من قبل بالسحر، حيث قالوا عنه مرارًا إنّه ساحر كذّاب (مثلما ورد ذلك في عدّة مواضع من القرآن)، فلمّا رأى المشركون انشقاقَ القمر قالوا عنه سحرٌ مستمرّ، أي إنّ محمّدًا قد سحر أعينهم ورأوا أنّ القمر قد انشقّ، وهو لم يحدث فعلًا، بحسب زعمهم، ممّا يدلّ على أنّ هذا الحدث العظيم قد حدث فعلًا على وجه الحقيقة، أوّلًا: لأنّه لا يمكنُ لمحمّد أنْ يدّعي انشقاق القمر وهو لم يحدث، كما بيّنّا أعلاه، وثانيًا: أنّ هذا الانشقاق قد حدثَ نتيجة طلب المشكّكين منه بأنْ يريهم معجزة تجعلهم يصدّقون بنبوّته، فلمّا أراهم هذه المعجزة قالوا إنّه قد سحر أعينهم، وإنّ سحره مستمرّ، واستمرّوا بتكذيبه.

أيّ عالم فيزيائي أو فلكي سيسمع بأنّ القمر قد انشقّ سيرفضُ ذلك رفضًا قاطعًا، وسيقول إنّ ذلك مستحيل لأنّه سيعمل حدوث كوارث على الأرض، أليس كذلك؟! فإذا كان الأمرُ كذلك فكيف حدث انشقاق القمر ولم يحدُث أيّ تغيير في الأرض، ولم تحدُث أيّ كارثة هائلة في تلك الفترة من الزمن؟!

جوابُنا هو أنّ حدوث انشقاق القمر حقيقة قد حدثت فعلًا، ولكنّ حدوثها كان على سبيل المعجزةِ الإلهية، فالله سبحانه هوَ الذي خلق

الكونَ وهو الذي خلق القوانينَ التي تجعله كما نراه، وهو القادرُ على أنْ يخلق قوانين أخرى، وقتما يشاء، لأجل أمرٍ هوَ يراه سبحانه ويقدّره، فانشقاقُ القمر لا يخضع لحساباتِ القوانين الفيزيائية والفلكية التي نعرفها، وإنما هي معجزةٌ للنّبي - صلّى الله عليه وسلّم - قد حدثت بقوانين أُخْرى لا نعرفها، فنحن نجهلُ أكثرَ ممّا نعرف عن كوننا، وكيف خُلِق، وكيف تكوّنت أجسامه على وجه الحقيقة المطلقة.

إذًا.. هي معجزةٌ قد أحدثها الله - سبحانه - لنبيّه، صلّى الله عليه وسلّم، ليريها للكفّار لإجل إقامة الحجّة عليهم، ويبطل كلّ شبههم، ويسدّ عليهم طريقَ تكذيبه صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّهم مع ذلك كلّه قالوا إنّ الذي رأوه من انشقاق القمر ما هوَ إلّا سحرٌ مستمرّ، وبقوا على عنادهم وكفرهم.

فصلّ اللّهم على محمد، وعلى آله وصحبِه، وسلّم.

الفرصة 39

قالَ تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾سورة الحشر.

مفهومُ الآية، وملخّصُها: الله سبحانه يُخبر محمدًا بأنّ المنافقين كانوا كاذبين حينما قالوا للكافرين من أهل الكتاب إنه إذا تمّ إخراجُكم بالقوّة من دياركم فإنّنا سنساندكم، ولا نكون مع أيّ أحدٍ من أعدائكم عليكم، وإذا هجم أيّ عدوّ عليكم ليقاتلكم فسنقف معكم ونقاتل عدوكم.

ويؤكّد الله - تعالى - لنبيّه بعد أن كذّب المنافقين، أنّ هؤلاء المنافقين لن يخرجوا مع الكافرين من أهل الكتاب لو أراد أحدٌ إخراجَهُم، ولن يُقاتِلوا معهم ولن ينصرونهم، وحتّى لو قاتلوا معهم نصرةً لهم، فإنّ هؤلاء المنافقين سيفرّون من أرض المعركة، ولنْ يستطيعوا نصرةَ هؤلاء الكافرين من أهل الكتاب.

الشّاهدُ هنا: مَن الذي أخبرَ محمدًا بأنّ المنافقين سوف لن يخرجوا مع الكافرين من أهل الكتاب في حالة أنْ قام أيّ عدوّ بإخراجهم بالقوّة؟ ومَن الذي أخبر محمدًا بأنّ المنافقين لن يقاتلوا مع هؤلاء بعد أنْ وعدوهم؟ ومَن الذي أخبر محمدًا بأنّ المنافقين حتّى وإن قاتلوا مع أولئك، سوف يفرّون، ولن يستطيعوا نصرتهم؟ ومَن أخبر محمدًا بأن المنافقين كاذبون بوعْدهم لهؤلاء الكفار من أهل الكتاب؟

حتّى لو فرضنا أنّ معرفة محمد الدقيقة بالمنافقين وتحليله لنفسيّاتهم قد استنتجَ من خلالهما بأنّهم سوف لا يوفون بوعدهم لأولئك الكفار من أهل الكتاب، وأنهم كاذبون بوعْدهم لهم، ولكنْ ألا يخشى محمّدٌ بأن يقوم المنافقون، كيدًا به وإسقاطًا لمصداقيّته أمام أصحابه، والنّاس أجمعين؛ بالاتفاق مع أولئك الكفّار من أهل الكتاب، بالتّظاهر بالخروج فعلًا معهم لو تمّ إخراجهم؟ بل وينصرونهم أيضًا لو تمّ مهاجمتهم؟

بل مِن المحتمل جدًّا بعد أنْ تلا محمّدٌ هذه الآيات أنْ يقوم المنافقون والكفار من أهل الكتاب بتفعيل إثارة العداوة معه ومع الصّحابة، بالشّكل الذي يؤدّي لإخراجهم من ديارهم عُنْوة، ليقوم المنافقون بالوقوف معهم، فيخرجون معهم، وإذا قوتلِوا يقومون بنصرتهم، لا لشيء، إلّا لأجل أن يسقطوا مصداقيّة محمّد أمام أصحابه، وأمام الناس أجمعين، وليثبتوا من خلال تآمرهم هذا أنّ هذا القرآن هو ليس من عند الله، فكيف يخبر اللهُ تعالى أنّ المنافقين سوف يخذلون الكفار من أهل الكتاب، بعد أنْ وعدوهم بالخروج، ثمّ يحصل عكس هذا الأمر تمامًا؟

ألا يشكّل ذلك إحراجًا كبيرًا لمحمّدٍ؟ كيف لشخصٍ ذكي مثله أنْ يجازف كلّ هذه المجازفة الكبيرة؟ ما الذي اضطرّه لذلك؟

إنّ أهمّ ما يميز المنافقين هو كيدهم ودهاؤهم، فلماذا إذن يجازفُ محمّدٌ بتثبيت هذا الأمر في القرآن، الذي يقول عليه إنّه مِن عند الله تعالى؟ لو كان كاذبًا (حاشاه) بادّعائه أنّ هذا القرآن هو مِن عند الله، وأنّ هذه الآيات المذكورة آنفًا هي جزءٌ منه، لما كان قد وضع نفسه في هذا الموضع الصعب؟ والذي سيؤدّي إلى تكذيبه في أصل ادّعائه للنبوّة، وأنّ هذا القرآن هو كلام الله.

لكنْ ليس له - عليه الصّلاة والسّلام - إلا آن يتلو ما نزل عليه، بغضّ النّظر عن أيّ احتمالات سلبية، فما عليه إلّا البلاغ، وقد فعل ذلك بكلّ أمانة وصدق.

فصلّ اللّهم عليه، وسلّمْ تسليمًا كثيرًا.

الفرصة 40

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾سورة الصف.

مفهومُ الآيتين، وملخّصُهما: ينهى اللهُ تعالى المؤمنين أن يأمروا بمعروفٍ أو ينْهوا عن منكرٍ، وفي نفس الوقت يعملون ما يناقضُ أمرَهم بالمعروف ونهيَهم عن المنكر، ويبيّن الله تعالى أنّ أيّ مؤمن يخالف قولَه فعلُه؛ فهو مكروهٌ عند الله أشدّ الكراهية.

الشّاهدُ هنا: يُقدّمُ محمّد ﷺ نفسه على أنه قدوةٌ للمؤمنين، الذين نصروه وآمنوا به، وهو في نفس الوقت القائد الأعلى لهم، ويقدّم نفسه كذلك على أنّه خير الرسل، وخير النّاس أجمعين.. وعليه، فستكون كلّ حركاته وسكناته وأفعاله وأقواله ونظراته ونومه وشربه، وكلّ شأنه؛ محلّ اهتمامٍ كبيرٍ جدًّا للّذين من حوله، فهو قائدُهم، وهو رسولُ الله وخاتم النبيين، بل وحتّى الذين سيؤمنون به بعد موته؛ سيكون هذا شأنهم، لأنّهم آمنوا به على أنّه رسولٌ من عند الله، وهو قدوة لهم.

وبحسب معنى الآيتين أعلاه، فيجبُ على محمدٍ ﷺ أن يفكّر آلاف المرّات قبل أن يخالف فعله قوله، في أي صغيرةٍ وأيّ كبيرةٍ، ونحن نعلم أنّه ﷺ قد أصدر آلاف الأوامر والنّصائح والتوجيهات من الأوامر ما تضمن فعل شيءٍ، ومنها ما تضمّن النهي عن فعلِ شيءٍ، وبالتّالي فهو ملزم إلزامًا قطعيًّا أنْ يفعل كلّ فعلٍ قدْ أمر به، وأن ينتهي عن كلّ فعلٍ قد

نهى عنه.. فمثلًا، إذا أمر النّاس بالقتال والتضحية في سبيل الله، فعليْه أن يقاتل في الصّفوف الأولى ويضحي بنفسه في سبيل الله، وذلك لأنّه قدوة، رسولٌ وقائد، وإذا أمرهم أن يتصدّقوا فعليه أوّلًا فعلُ ذلك، وأن يكون أكثرَ المتصدّقين من ماله، وإذا أمرَهم أنْ يقوموا الليل فعليْه أوّلًا فعلُ ذلك، وقسْ على هذا آلافَ الأفعال، وإذا نهاهم عن فعل أمرٍ فعليْه أوّلًا نهيُ نفسِه عنه، مثلًا.. إذا نهاهم عن النّظر إلى المرأة الأجنبية؛ فعليه هو أنْ ينتهي عنه أوّلًا، وإذا نهاهم عن الغيبة والنميمة؛ فعليْه أوّلًا فعلُ ذلك، وقسْ على ذلك آلاف المنهيّات.

والسّؤالُ هو: مَن الذي أجبر محمدًا ﷺ على قول هاتين الآيتيْن بمفهومهما الواضح البيّن؟ بحيث يقيد نفسه كلّ هذا القيْد، الذي سيشملُ كلّ حياته وتصرّفاته وحريته؟ لماذا يصعّب على نفسه الأمورَ بهذا الشّكل؟ ما الذي دفعه لهذا الأمر؟ وما الذي اضطرّه لوضع نفسِه دائمًا أمام الآخرين، أصحابه كانوا أمْ أعداءه؛ محلّ الممتحن لها في كلّ تصرفاته وأفعاله؟

كلّ يوم سيدخل في بيته.. عليه أن يتصرّف تصرّف القدوة، الذي إذا قال أيّ شيء فعله، وإذا دخل السوق عليه فعلُ ذلك، وإذا جلسَ بين أصحابه، حتّى لمجرّد السّمر، فعليه فعلُ ذلك، وإذا أراد محمّد أنْ يتظاهر بالعبادة كذبًا (حاشاه)، فعليْه أن يكون نموذجًا في تعبّده، وهلمّ جرّا، في تعاملاته المالية وفي تعاملاته اليوميّة مع الناس، ومع أعدائه وأصدقائه، عليه أنْ يمتثلَ أوّلًا ما يأمر وينهى عنه في كلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

لماذا هذا كلّه؟ هل يمكن لبشرٍ جاء قبله أو بعده (غير الرسل) فعل ذلك؟

لكنّها الحقيقة السّاطعة والحجّة البالغة، فهو أمر خالقه الذي أنزلَ عليه أوامره ونواهيه، وأمره أنْ يلتزم هو بها أوّلًا، وقد أعدَّه سبحانه لهذا الأمرِ الجلل، وهذه المهمّة التي لا تستطيع الجبال على حملها، فهو بحقّ رسولُ اللهِ تعالى، الذي قد اصطنعه واصْطفاه لنفسه.

فصلّ اللّهم على هذا الرّسول الكريم، وسلّمْ تسليمًا كثيرًا.

الفرصة 41

قالَ تعالى في سورة ن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾، وقال - أيضًا - في سورة الأنبياء﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

مفهومُ الآيتين، وملخّصُهما: الخالقُ العظيم يخاطب نبيَّه ﷺ بقوْله: إنّك - يا محمّد - على خُلق عظيم، وما أرسلتُك للناس إلّا رحمةً بهم.

الشّاهدُ هنا: فلنستعرضِ ابتداءً عددًا من الأخلاقيّات الحسنة التي أجمع الناسُ عليها، وعلى مَن أراد أن يكون قدوة لهم، عليه أنْ يتمثّلها بخلقِه وتعامله معهم، ومِن هذه الأخلاق: الإحسان، الأمانة، الأُلفة، الإيثار، البرّ، البشاشة، التأني، التّضحية، التعاون، التواضع، التودّد، الجود والكرم، السخاء، البذل، حُسن الظّن، الحِلم، الحياء، الرفق، الستر، السكينة، سلامة الصّدر على الآخرين، سماحة النفس، الشجاعة، الشّفقة، الشّهامة، الصبر، الصدق، العدل، العزة، العزم والعزيمة، العفّة، العفو والصفح، علوّ الهمّة، الغيرة، القناعة، كتمان السّر، كظم الغيظ، المحبة، المداراة، المروءة، النبل، النّزاهة، النّصرة، النصيحة، الورع، الوفاء بالعهد، الوقار، احترام الكبير، عدم التّكبر، الإصلاح بين الناس، حسن العشرة، أداء الواجب، الاعتراف لذي الحقّ بحقّه، الاعتراف لذي مزية بمزيّته، المواساة والمعونة، الصّبر على المصائب، التقيد بالنظام العام، الإتقان في العمل، عدم العجلة، وغيرها من الأخلاق الكريمة.

والأخلاقُ السّيئة، والتي يجب تجنّبها لمَن أراد أن يكون قدوةً للنّاس، فمن هذه الأخلاق:

الكذب، الخيانة، الظّلم، العدوان، الشّح، سوء المعاشرة، عدم أداء الواجب، نُكران الجميل، عدم الاعتراف لذي الحقّ بحقّه، الدّياثة، السرقة، الاغتصاب، التجسّس، سوء الظنّ بالآخرين، الوساخة في البدن والمقتنيات، العشوائية وعدم التّرتيب، إضاعة حقوق النّاس، الفضول، رفع الصّوت بالشكل الذي يؤذي الآخرين، الحسد، الكبر، التسلّق على أكتاف الآخرين للمصلحة الشّخصية، إطراء النّفس بما ليس فيها، إزعاج الآخرين والسّخرية بهم، انتقاص الناس والاستهزاء بهم، الافتراء، الفوضوية، إضاعة الوقت، التملق، إلحاق الأذى الجسدي والمادي والنفسي بالآخرين بغير حقّ، وغيرها من الأخلاق السيئة.

أمّا صورُ الرّحمة بالعالمين، فأشكالُها كثيرة، وهي كالتالي، على سبيل الذّكر لا الحصر:

بشكلٍ عامّ.. فالرّحمة تشمل كلّ إنسان مسالم، مهما اختلف اعتقادُه أو جنسه أو عرقه أو وطنه، وبصورة أخصّ: الرحمة بالأبناء، الرحمة بالوالدين في حياتهما وبعد مماتهما، الرحمة بالأقارب، الرحمة باليتامى والأرامل، الرحمة بالعاجز والمريض، الرّحمة بالمحتاج، الرحمة بالمسافر والغريب، الرحمة بالمجنون والمعتوه، الرحمة بالفقراء والمساكين، الرحمة بالكبير والصغير، الرحمة بالنّساء ومساعدتهنَّ.

ما وردَ في الآيتين الكريمتين؛ أنّ الله - سبحانه - يصفُ خُلُقَ محمّدٍ بالخُلقِ العظيم، وأنّه تعالى ما أرسله إلّا رحمةً لكلّ العالمين، وهذا

يقتضي أنْ يتّصف محمّدٍ بكلّ الأخلاق الحميدة التي ذُكِرت أعْلاه، بمعنى أنّه إذا أراد أن يكون قدوة لهم؛ فعليْه أن يمتثلَ بمُطلق الأخلاق التي لا مثيل لها في العُرف البشري، كخلق الصّدق، وخلق الأمانة، وخلق العفو، وخلق الشّجاعة والتضحية، وخلق الحياء، وخلق العدل، وهكذا في بقية الأخلاقيات التي ذكرناها في أعلاه، ويتجنب كذلك كلّ الأخلاق السّيئة، وفي كلّ مراتبها، ابتداءً من أدناها إلى أعلاها.

وأيضًا، عليه أنْ تكون رحمتُه مطلقةً لا مثيل لها في العرف الإنساني؛ فعليه أنْ يكون رحيمًا بكلّ النّاس بصورة عامة، وبصورةٍ خاصّة؛ مع أبنائه وزوجاته وكلّ أقاربه وأصدقائه، ومَن يعرفهم ومَن لا يعرفهم، وبالطفل، والمسنّ، والمرأة، والمريض، والعاجز، والفقير، والمسكين، والأرملة، واليتيم، والهرم، والمجنون، والمعتوه، وغيرهم.

لماذا يدّعي محمّد بأنّ الله قال عنْ خلقِهِ بأنّهُ خلق عظيم، بحيث يُلزِم نفسَه بكلّ الأخلاق الفاضلة، وعلى أعلى المستويات، وفي كلّ تفاصيل الحياة، وفي كلّ زمان ومكان، وإلى أنْ يتوفّاه الله؟ ومِن قبلُ قال إنّ الله جعله قدوة للناس كافّة، فعليه أنْ يمتثل كلّ الأخلاق الفاضلة التي ذكرناها آنفًا بالشّكل الذي يستحقّ أن يكون قدوة للناس فيها.

فادّعاء أيّ إنسان بأنّ الله العظيم أرسله رحمة للناس كافة، ادّعاءٌ فوق طاقة البشر؛ لأنّ ذلك سيشكل عليه عبئًا كبيرًا جدًّا، فيجبُ عليه أن يكون رحيمًا حقًّا بكلّ الناس، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، عرفهم أم لم يعرفهم، محبّهم أو مُبْغضهم له (من غير المعتدين)، وفي كلّ زمان ومكان.

ومِن الطّبيعي أن تكون أوّلُ الرحمة بهم؛ أن يعرّفهم بكلّ شئون دينهم، وبما يُصلِحُ آخرتهم، وهذا وحده يتطلّب منه جهدًا عظيمًا جدًّا، فكيف لو أضفنا إليه كلّ صور الرّحمة التي ذكرناها من قبل؟

ربّما يصيب الإنسان الضّعف النفسي والمعنوي أو التعب الجسدي حينما يمرّ بمشكلة أو ابتلاء فيفقد في ذلك بعضًا من صبْره، فلا يستطيع أنْ يحافظ على بعض صفاته الخلقية الحسنة أمامَ النّاس، وكذلك ربّما يفقد شيئًا من رحمته بهم في بعض أحواله، كوْنه بشرًا، وحدود البشر غير مطلقة في الصبر وتحمل الابتلاءات والمحن.

فسؤالنا: هل يمكنُ لبشرٍ أن يمارس الكذب العظيم على النّاس، وهو يحملُ في نفسه أسوأ الأخلاق على الإطلاق، وفي نفسِ الوقت يمارس كلّ الأخلاق الفاضلة، وبأعلى مستوياتها مع الناس جميعًا؟

هل يمكنُ لأحدٍ أن يكذب على الناس آلاف الكذبات، ولمدّة ثلاثٍ وعشرين سنة، ثمّ يقول لهم إنّ الله أرسلني رحمة لكم؟ وحينها عليه أنْ يكون فعلًا رحيمًا بهم، في أيّ زمان ومكان، نساءً ورجالًا، صغارًا وكبارًا؟

كيفَ لشخص أن يُحمّل نفسَه كلّ هذا الحمل العظيم؛ أنْ يكونَ في منتهى الأخلاق، ومنتهى الرحمة، وهو في نفس الوقت قدوةٌ للنّاس في كلّ ذلك؟

إذا كان محمّد كاذبًا بادّعائه أنّه رسول الله، فلماذا يذكر من أمثال هاتين الآيتين أعْلاه في القرآن؟ التي تلزمه إلزامًا صارمًا أنْ يضحّي بنفسه وماله وراحته وجسده وأهله؛ في سبيل أن يثبتَ للنّاس أنّ خلقه عظيم، وأنه أرسله الله رحمة للعالمين؟

أيّ تصرّفٍ غير أخلاقي، ولو بشيء يسير جدًّا يصدر منه - صلّى الله عليه وسلّم - تجاه أيّ أحد من الناس، فسيضعف ذلك مصداقيّته أمام الناس جميعًا، فكيف يقول إنّ الله تعالى وصَفَ خلقه بالعظيم، ثمّ يمارس أخلاقًا سيئةً، ولو لمرّةٍ واحدة؟ وكيفَ لو تصرّف ولو لمرّةٍ واحدة، كوْنه بشرًا، بغير رحمة، تجاه أيّ أحدٍ من الناس، ألا يخالف ذلك كوْن الله تعالى أرسله رحمةً للعالمين؟

فإنْ حدث وتصرّف لعدد قليلٍ من المرّات تصرفًا يُفهم منه أنّه غيرُ مناسب لوصف خُلقه بالعظيم من قبل خالقه؛ حينها سيأتي في القرآن آياتٌ فيها عتبٌ مباشر لشخص محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - عن تلك الأفعال القليلة (انظر كمثال إلى مقدّمة سورة عبس).

هل هو مضطرّ للقول بأنّ الله سبحانه يصف أخلاقه بالعظيمة، وأنّه رحمة للعالمين؟

لا يمكنُ لبشر - مِن عند نفسه - أنْ يدّعي لنفسه هذين الأمرين؛ الأخلاق العظيمة والرحمة بالناس كافة، لأنّه سيقع في دائرةِ الاتّهام وعدم التصديق، بل وحتّى السّخرية، في حالة مخالفتِه بأفعاله وتصرّفاته، قوله هذا تجاه الناس، وهو غير مضطرّ لذلك أبدًا.

إذًا.. ما الذي جعل خلقَ محمّدٍ عظيمًا فعلًا؟ وما الذي جعله حقًّا رحمةً للعالمين، كما وصفه بذلك أصدقاؤه وأعداؤه؟ ولماذا قال هذا الكلام أصلًا وثبّته بالقرآن؟

جوابُنا على ذلك: أنّ الذي اختار محمّدًا ليكون رسوله للناس كافّة هو نفسُه قد جعل أخلاقَه عظيمة، وأنّه رحمة للعالمين، فالخالق اصطنعَ

محمدًا لنفسه ليكون للعالمين قدوةً في الأخلاق والرّحمة، فهيّأ الله تعالى روحَ محمدٍ ونفسَه وجسدَه كي ينجح في أنْ تكون أخلاقُه عظيمةً حقًّا، ليصدق وصف الله لها، وهيّأه كذلك كي يكون رحمةً للعالمين في دعوته لهم لدين الإسلام، وللنور الذي نزل عليه، وهو في نفس الوقت رحمةٌ لهم في كلّ شئونهم الحياتية والنفسية.

فاللّهم صلّ وسلّم على الذي أرسلتَه رحمةً للعالمين.

الفرصة 42

قالَ تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾(سورة عبس).

مفهومُ الآية، وملخّصُها: في وقت واحدٍ، جاء إلى محمدٍ ﷺ رجلان، أحدُهما أحد أصحابه، وقد كان هذا الصّحابي أعمى، والآخر هو أحدُ الذين يريد أن يدخلهم في الإسلام، عندها عبس وجهُ محمّد ﷺ بوجه الرجل الأعْمى لأنّه لا يريد أن يشغله عن دعوة الرّجل الآخر في الدّخول إلى الإسلام.

الشّاهدُ هنا: لماذا ينهى محمّد ﷺ نفسَه عن مثل هذا الفعل، ما الدّاعي لذلك؟! ألا يسعُ محمد ﷺ السّكوت؟ هل يعقل أن يتكلّم أحدٌ من البشر عن نفسه بهذا الشكل؟ ثمّ يُثبِّتَ هذا الكلام في الكتاب الذي يقول عليه إنّه من عند الله، وإنّه رسول الله؟ ثمّ تبقى هذه الحادثة تتلى إلى ما شاء الله؛ ليتذكّر مَن قرأها حينها أنّ الخالق العظيم وجّه لومًا من فوقِ سبع سمواتٍ لمحمدٍ ﷺ بسبب كوْنه عبس بوجه الرّجل الأعمى؟ هل محمّد ﷺ مضطرٌّ لذلك؟ إنّ مَن يريد أنْ يصبح قدوةً للناس كي يكسبهم لجانبه فيرتفع جاهه ومكانتُه عندهم؛ عليْه أنْ يخفي عنهم أيّ عملٍ قد يُساء فهمُه، أو يسيء إليه بشكلٍ من الأشكال.

وقريبٌ من هذا المعنى حدثَ لمجموعةٍ من فقراء الصحابةِ وضعفائهم عندما همَّ محمد ﷺ بطردهم حينما قَدِمَ عليه وفدٌ من زعماء مكّة، همَّ بطرد أولئك الفقراء لا كرهًا بهم، وهو يعلم أنّ ذلك لا ينقص

مِن قدرهم؛ وإنما همَّ بذلك كي يتفرّغ لمقابلة ودعوةِ الضّيوف القادمين الذين قد يتضايقوا من وجود هؤلاء الفقراء، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، وقوله كذلك في سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

ولكنْ أراد الله - سبحانه - أنْ تكون هذه الحادثة، وما شابهها، معلومة ومذكورة في القرآن لتكون لنا عبرةً وعظة، وما كان له - صلّى الله عليه وسلّم - أنْ يكتم ما أوحي إليه، وإن كان في ظاهرِه ما يُسيء إليه، وهو ذو الخلق العظيم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفرصة 43

قالَ تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾سورة القدر، وقال - أيضًا - في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، وقال في نفس السورة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ .....﴾ إلى آخر الآية (185)، وقال في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: تخبرُنا هذه الآيات أنّ هذا الكتاب الذي يسمّى القرآن نزلَ كلّه في ليلةٍ واحدةٍ من ليالي شهر رمضان، وأنّ هذه الليلة تسمّى ليلة القدر، وهو هدى للمتّقين.

الشّاهدُ هنا: ستظهر عندنا عدّة أسئلة:

السّؤالُ الأوّل: كيف علِمَ محمد ﷺ بأن ما ينزل عليه منجّمًا (أي على فترات) من القرآن، وبعضه ينزل حسب الحوادث، التي يُفصّلُ في أحداث بعضها تفصيلًا كثيرًا، كما في معركةِ بدر ومعركة الأحزاب وفتح مكّة وزواجه من مطلقة الصّحابي زيد بن ثابت، وغيرها من الأحداث الكثيرة، كيف علِم محمّد ﷺ أنّ ذلك سيتشكّل منه كتاب، مثل كتاب الإنجيل وكتاب التوراة، ويسمّى هذا الكتاب "القرآن"؟ فساعة موتِه غير معلومةٍ بالنسبة إليه، والآيات مازالت تتنزّل عليه تباعًا، ولم تكتمل الرسالة بعد، فما الذي دفعه للتصريح بذلك؟ إذا كان كاذبًا (حاشاه) فلماذا لا يدع هذا الأمر للظّروف، ولاجتهاد أصحابه بعد موته؟ لماذا يتكلّم عن المستقبل

الذي هو ليس مطّلعًا عليه؟ فما أدراه أنّ ما نزل وينزل عليه مفرّقًا سيُجمع في كتابٍ واحدٍ بعد موته مباشرة؟

السّؤالُ الثّاني: إنّ من المعلوم أنّ أيَّ أحد أراد أن يؤلف كتابًا في أيّ علم من العلوم، أو أنْ يكتب قصّة من خياله؛ فعليه أن يجعلَ لهذا الكتاب بداية، ويجعل له نهاية، فإذا فرضنا أنّ أحد المؤلّفين شرع بكتابة كتاب، وفي نيّته أن ينهيه بخاتمة معينة وبزمنٍ معين، لكنّه لم يستطع ذلك بسبب موته بعد شهرين بشكلٍ مفاجئ، ولم يكمل من كتابه إلّا ربعه، فهل يستطيع أولادُه أو أصحابه أنْ ينشروا هذا الكتاب، الذي لم تكتمل فكرتُه بعد؟

كيف لو أسقطْنا هذا الأمر على موضوعنا؟ الذي هو أكبر، بما لا يقارن، بموضوع الكتاب الذي مات مؤلّفه ولم يكمله ولم يجعلْ له خاتمة، فموضوعنا هو أنّ محمدًا ادّعى أنّ الله قد أرسلَه رحمةً للعالمين، وادّعى كذلك بأنّ الخالق قد أنزل عليه الكتاب، المسمّى القرآن؛ ليخرج الناسَ من الظلمات إلى النور.

فلو أنّ محمدًا وافتْه المنيّة بعد أن قال أيَّ آيةٍ من الآياتِ الأربعةِ أعْلاه، ولم يكتملْ كتاب القرآن بعد، ولا توجد هناك أيّ إشارةٍ من محمدٍ قبل وفاتِه المفاجئ توحي بوضوحٍ أنّ هذا الكتاب قد تمّ واكتمل، ألا يسبّب ذلك إشكالًا لدى أصحابه مِن بعده؟ وتنازعًا واختلافًا فيما بينهم فيما يتعلّق بمدى صحّة تجميع صحف القرآن في كتابٍ واحد؟ بسبب أنّ كتاب القرآن لم يكتملْ بعد، وليس هناك - حينها - أيُّ آية قالها محمّد قبل موته المفاجئ تدلّ على أنّ هذا الكتاب قد اكتمل، وتمّت الرسالة.

في أحسن الحالاتِ سيتّفقون (فيما لو اتّفقوا) على نشر القرآن على شكل صحفٍ مفرّقة، ولا يجمعونها في كتاب واحدٍ، بحجّة أنّ الكتاب - أو المشروع - لم يكتمل بعد، وليس فيه نهاية.

وحتّى لو اتّفقوا (جزافًا) على نشره في كتاب واحد؛ فهل اكتملَ المشروع فعلًا؟ وهل استطاع محمد أن يوصل فكرته للنّاس؟ وهل سيتّفق الناس بعد موته على هذا الكتاب؛ ولم يكتملْ موضوعه وفكرته بعد، ولم تصلْ رسالة الله تعالى للناس؛ بالشّكل الذي يطمئنّ له مَن يريد أن ينتمي لهذا الدين ويضحّي من أجله؟

سوف تكون هناك اختلافاتٌ كبيرة بين الناس، وأسئلة لا تنتهي، ليس لها أجوبة واضحة، والتي قد تؤدّي شيئًا فشيئًا إلى تلاشي دعوة محمّد، أو تشوّهها على أقلّ تقدير، فهل أراد محمّد - الذي يصفونه بالعبقري - أنْ تتلاشى دعوته بعد موته مباشرةً؟

فمَن الذي أجبر محمدًا على التّصريح بأنّ ما ينزل عليه من القرآن مفرّقًا سيُجمعُ في كتابٍ واحد، وسيمثّل الحجة البالغة على النّاس، والرسالة الإلهية الكاملة الخاتمة، التي أختاره الله تعالى لها ليبلغها للنّاس كافّة؟ وسيكون لهذا الكتاب بداية ونهاية، ما الذي أجبرَ محمدًا على ذلك؟

إذًا.. ما الذي حدثَ حقيقةً؟ الذي حدثَ أنّ هذا الكتاب كانت له بداية، وهي أوّلُ آيةٍ من سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ وله خاتمة أيضًا تدلّ على أنّ هذا الكتاب قدِ اكتمل، وتمّ على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿....ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ....﴾ (سورة المائدة الآيه: 3)، وقوله - أيضًا - في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

والسّؤالُ هنا: إذا كان محمّد كاذبًا (حاشاه) فكيف علِمَ أن الله تعالى سوف ينزل عليه الآيات أعلاه، التي تؤكّد أنّ رسالته سبحانه له قدِ اكتملت؟ وأنّه سيعيش لغاية تمكّنه من إتمام عرضِ فكرته، والتي سيؤلّف منها هذا الكتاب المسمّى "قرآنًا"؟ فلو كان هوَ مَن ألّف هذا القرآن؛ فلماذا يؤخّر تأليفَ مثل الآيتين أعلاه إلى نهايةِ عمره؟ فباستطاعته أنْ يؤلّف بعد كلّ بضعة أيام، أو آيات، نهاية مناسبة للقرآن؛ وذلك تحسّبًا من موته المفاجئ، كي يستقيم أن يُطلق على القرآن "كتاب" فيما لو جُمِع، فلكلّ كتابٍ بدايةٌ ونهاية كما قدّمنا، وهذا لم يفعله، فلا نجدُ في آيات القرآن ما يشير لذلك أبدًا، سوى الآيتين المذكورتيْن أعلاه، والتي وردت في نهاية حياتِه بعد فتح مكّة، حينما اكتملت الرسالة، وتُوّجَ المشروع بالنّصر العظيم، الذي تمثّل في فتح مكّة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

السّؤالُ الثّالث: ألا يحرج محمدًا ﷺ أنْ يقول للناس إنّ القرآن نزل كلّه في ليلةٍ واحدة؟ أليس من المفترض أن يتوقّع محمّد ﷺ بأن يتقدّم أحدُ المجادلين من الكفار، أو من أهلِ الكتاب، بالطّلب منه أنْ يثبت ذلك، وأنْ يريهم عيانًا هذا القرآن الكامل، والذي لم يكتملْ بعد؟ ألا يوقع ذلك محمّدًا ﷺ في حرجٍ شديد؟

ما الذي اضطرّ محمّدًا للقول بمثل هذا القول؟ لماذا يقول بأنّ القرآن نزل في ليلةٍ واحدة وهو ما لا يستطيع إثباته أمام أعدائه لو طلبوا منه ذلك؟ وإذا ما أخذنا بنظرِ الاعتبار الأسئلة الثلاثة التي طرحناها، كما هو مبيّن

في أعلاه، وأضفنا إليها أنّ محمدًا كان أذكى النّاس في وقته، وأنّ هذا الكتاب المسمّى "القرآن" قد اكتمل في ثلاثٍ وعشرين سنة، وكلّ مَن قرأ القرآن، مِن بدايته إلى نهايته، لا يرى فيه أيّ اختلاف أو تطوّر لغوي، لا مِن الناحية البلاغية ولا من الناحية الأدبيّة، فاستمرّ طيلة تلك السّنين الطّوال بنسق واحد، كأنّه نزل على محمد ﷺ دفعةً واحدة، وبليلةٍ واحدة، والكلّ يعلم بأنّ ثلاثًا وعشرين سنة كفيلةٌ بأنْ يغير أيّ إنسان من مستوى كلامه من الناحية البلاغيّة والأدبية، لكنّنا لا نجد ذلك أبدًا في القرآن من أوّل آية نزلتْ عليه، وهي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ سورة العلق، وإلى آخر آية، وهي: ﴿....ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ....﴾ سورة المائدة.

فسؤالُنا هو: هل يُعقل، بعدَ الأسئلة الثّلاثة التي ذكرناها آنفًا، أنْ يقال: إنّ هذا القرآن مِن صُنع محمد؟

الفرصة 44

قالَ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ سورة المسد.

مفهومُ الآيات، وملخّصُها: خسرتْ يدا أبي لهب وخسِرَ هو، ولنْ يغني عنه مالُه وولده يوم القيامة، فسيموت على الكفر، وسيدخل جهنّم حتمًا.

الشّاهدُ هنا: السّورةُ تثبت أنّ أبا لهب سيموت كافرًا، ولم يتكلّم أحدٌ من المؤمنين أو غير المؤمنين، أعداءً كانوا أم أصدقاء، وإلى يوْمنا هذا، بأنّ أبا لهب قدْ أسلم قبل موته، فمَن الذي أخبر محمدًا بأنّ أبا لهب سيموت كافرًا، ولا يدخل الإسلام؟ كيف يجازفُ محمّد ﷺ هذه المجازفة الكبيرة؟ أليس مِن المحتمل في حالةِ سماع أبي لهب هذه الآيات بحقّه أنْ يقومَ بالدّخول في الإسلام فعلًا، أوْ أنْ يتظاهر بالدّخول فيه، ليُكذّب بذلك محمدًا ﷺ والقرآن؟ محمّد ﷺ يقول إنّ الله يعلم الغيب، ولازمُ هذا القول أنّه تعالى يعلم مصير أبي لهب، فكيف يقول القرآن بأنّ أبا لهبٍ سيدخل جهنم، ويصلى بنارها، ويموت كافرًا، بينما الواقع يثبت عكس ذلك؟

هل محمّد ﷺ مضطرّ لهذه المجازفة الكبيرة بحيث يحكم على شخصٍ لم يمت بعدُ بأنّه سيموت كافرًا؟ لماذا يحرج نفسه ﷺ بهذا الشّكل، لماذا يفتح على نفسه بابَ التّشكيك بالقرآن وبدعوته؟

لم يكنْ يعلم محمد ﷺ بموتِ أبي لهب على الكفر أبدًا، فما أدراه؟ فهو لا يعلم الغيب، بل إنّ محمدًا كان حريصًا جدًّا على دخول كلّ أهله وعشيرته للدّين الذي يدعو إليه، فكيف يخاطرُ محمدٌ ﷺ بهذا الأمر، ويجعل سورةً كاملة في القرآن تتكلّم صراحة بأنّ أبا لهب سيموت كافرًا؟ ما الذي اضطرّه للدّخول في هذا الأمر الكبير؟

الاضطرارُ الوحيد لمحمد ﷺ بقبول هذه القصة والتكلّم بها؛ هو أنّها من عند الله تعالى، ولم تكنْ من تأليفه، فالله وحده يعلم الأمور على حقيقتِها، وهو الذي أنزل هذا القرآن عليه ليبلّغه فور نزوله، بغضّ النّظر عن أيّ حسابات بشرية أخرى، فالله - سبحانه - هو الذي يعلم الغيب وحده في هذا الكون، وهو - وحده - يعلم كيف تسيرُ الأمور، وهو الذي يعلم ما قد كان، ويكون، وما سوف يكون.

مُنطقيّات لأهلِ العقول السّليمة المُنصفة

1 - حينما كان محمّد ﷺ في مكّة، ودعا الناس للإسلام والتّوحيد، وترك الآلهة التي كانوا يعبدونها، فلم يطيعوه حينها؛ بل آذوه وهدّدوه بالقتل والطرد، وقاموا بتعذيب أصحابه وسلبِ أموالهم، كلّ ذلك ولم يرتدعْ عن دعوته لهم عليه الصّلاة والسّلام، فقاموا بإغرائه بالمال والسّيادة والجاه والسمعة، فلم يقبلْ، وأصرّ على دعوته لهم.

والسّؤالُ هنا: لماذا لم يقبلْ محمد ﷺ تلك العروض حينها؟ فمطلبُ أيّ شخص إمّا أن يكون المال أو السيادة أو الجاه والسّمعة، فإنِ اجتمعت الثّلاثة لشخص ما فسوف يقبلُ بها فورًا، فإذا كان محمد ﷺ كاذبًا في دعواه بأنّه رسول الله فلماذا إذًا لم يقبلْ كلّ تلك العروض المغرية؟ فما يدريه أنّه سيعيشُ بعدها، ولو ليومٍ واحد، لو حصل عليها فيما بعد، كي ينعم بها، وهو يعلم أنّهم كانوا يهمّون بقتله وهو بين أظهرهم، لماذا عانى ما عاناه في سبيل دعوته إن لم تكن حقًّا، وإنْ لم يكن هو رسولَ الله، الذي اختاره تعالى كي يبلغ الناس رسالته سبحانه إليهم.

2 - لماذا انتظرَ محمّد ﷺ أن يبلُغَ أربعين سنة كي يبلغ دعوته؟ أليس لو كان يريد المال أو الجاه أو الرياسة أن يقوم بدعوته منذُ أن كان عمره خمسًا وعشرين سنة، أو حتّى ثلاثين، لأجل أنْ يستمتع بالمال أو الرياسة أو الجاه أو السلطان وهو في سنّ

الشّباب وبكامل قوّته، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة يونس.

3 - هل يُعقل أنْ يكذّب محمد ﷺ الآلاف من الكذبات طيلة ثلاثٍ وعشرين سنة على قومه؟ وكانوا من قبْل يصفونه بالصّادق الأمين! لقد جرّبوه لأربعين عامًا، في كلامه وتعاملاته فوجدوه صادقًا أمينًا في كلّ ما يقوله ويفعله، فهل يعقل ألّا يكذب عليهم طيلة عمره، فإذا بلغ الأربعين يبدأ فجأةً بالكذب عليهم، وعلى ربّه وخالقه، وعلى أهله وأصحابه وزوجاته، ويستمرّ يكذب لمدّة ثلاث وعشرين سنة بلا توقّف، ربما في اليوم الواحد مئات الكذبات؟ هل يعقل ذلك؟! أن ينقلبَ رجلٌ فجأة من صادقٍ أمين لعشرات السنين إلى كذّاب أثيم على خالقه والنّاس أجمعين لعشرات السنين أيضًا، إنّ أيّ عاقل سوف يرفض رفضًا كاملًا هذا الهراء.

4 - ما هذه القوّة الهائلة التي دفعت محمدًا ﷺ بالخروج فجأة وسطَ قومه ليعلن أنّ آلهتهم وآلهة كلّ العرب كافّة؛ عبارة عن أوثانٍ وحجارة لا تضرّ ولا تنفع، وأنّ الذين يعبدونها من دون الله هُم غيرُ عاقلين، وهُم ظالمون لأنفسهم، بل وكفار ومشركون، وهو يعلم أنّ من بين هؤلاء المدعوّين سادة وزعماء وملوك وتجار ومجرمين وظالمين ومرضى النّفوس.. تحدّى كلّ أولئك، وتحدّى كلّ القبائل التي تعبد الأصنام، وهي كلّ القبائل في حينها، فما هو سرّ هذه القوة الخارقة التي تجعله يتجرّأ على

تكذيب كلّ أولئك، ونسْفِ معتقداتهم، التي كان الزّعماء منهم يستفيدون منها في تجاراتهم وسيادتهم على قوْمهم؟ فهل يمكنُ لرجلٍ واحد، كان يعمل عند امرأة في التّجارة، أنْ يقوم بهذا التحدّي الهائل اعتمادًا على قوته الذاتية فقط، ما هي قوّته حينها التي تجعله ينسف الموروثَ من الآلهة التي ورثها قومه، وقبائل الجزيرة العربية من قبل، ولمئات السنين وينسفُ الموروث من عاداتِ الجاهلية، وقوانينها الجائرة، وعاداتها الظّالمة، والتي عهدوها من آبائهم وأجدادهم، هل يعقل أنْ يقوم رجلٌ وحيد بمثل كلّ ذلك؟ ألا يخاف الهلاك على نفسه؟ لا يستطيع أحدٌ أنْ يدّعي بمثل ما ادّعاه محمد ﷺ إلّا أن يكون حقًّا وصدقًا رسولَ الله، الذي اختاره سبحانه لهذه الدّعوة المباركة، فهو تعالى مَن سيقف بجانبه - صلّى الله عليه وسلّم - وهو مَن سيهيئ له أصحابًا عظماءَ يحْملون دعوته للعالمين كافّة بأرواحهم وأموالهم، وبكلّ ما يملكون، وهو سبحانه الذي سينصرُه بجنودٍ مِن عنده، وبأسباب كثيرةٍ لم تكنْ في حسبانه ﷺ وقتَ أنْ صدعَ بدعوته حينما كان لوحده، قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾(سورة الحجر الآيه: 94).

5 - هل يُعقل أنْ يأتي رجلٌ من بيئة صحراوية متخلّفة جدًّا بقوانين وإرشادات وتوجيهاتٍ للحياة كافّة، في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والسياسية والقضائية والأخلاقية؛ دون أيّ مقدّمات قبلها من قِبلِهِ، فلم يتكلّم - صلّى الله عليه وسلّم - قبل سنّ الأربعين بكلّ ذلك، إنّما كان معروفٌ عليه

نصرة المظلوم وإكرام الضيف ومساعدة المسكين والوقوف مع الناس في مصائبهم، وكان يعمل بالتّجارة، ويُعرف بالصادق الأمين، فلم يعهدْ عنه أنّه قال حِكَمًا وأشعارًا أو قصصًا تاريخية توجّه النّاس لحياة أفضل، فكيف وعلى حين غرّة يتكلّم بكلام يُعجِز شعراء وحكماءَ ذلك الزمان، وما بعده، ويتحدّاهم على أنْ يأتوا بمثله، ولو تعاون بعضهم مع بعض على ذلك؟

6 - هل يُعقل مِن محمد ﷺ الأمّي، أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك تكون أوّلُ آيةٍ يتلوها من القرآن هي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾؟ لماذا تكون أوّلُ كلمة من القرآن، يزعم أنّها نزلت عليه «اقرأ»؟ أليس في ذلك خروج على المعهود في عرف العقول، فكيف وهو أميٌّ يأمر نفسه بالقراءة؟ ويحدُث هذا الأمر فجأة، ودونَ أيّ مقدمات، فلم يُعرف عنه من قبل أنّه تكلّم بمثل هذا الكلام، ولا قريبًا منه.

الخاتمة

لا يوجد أيّ كتابٍ يشبه القرآن، لا قبله ولا بعده، وإلى يومنا هذا، من حيث البناءِ اللّغوي والبديع البلاغي والأسلوب الأدبي الفريد، فهو وحده في بابه، ولا يوجد كتابٌ قد جمع القصصَ التّاريخية مع الأوامر العسكرية والتّوجيهات الحياتية مع النّصائح والحِكَم والإرشادات الإصلاحية مع الموجهات السّياسية والتعليمات التربوية والتوصيات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والأمور الغيبية والحياة الأخروية والحقائق العلميّة في علوم الكون والكيمياء والفيزياء وفي عالم النبات والحيوان ودقائق النفس البشرية والأمراض النفسية والآداب المنزلية والشخصية والحقوق الزوجية والقوانين المجتمعية بكلّ أنواعها والأخلاق والآداب الإنسانية، وغير ذلك من تفريعات العلوم والفنون.

لا يوجد كتابٌ واحد قد حوى كلّ ذلك في ستمائة صفحة، الذي يقرأه سيقرأ البداية وسيقرأ النهاية وما بينهما، وسيقرأ عالمَ المشاهدة وعالم الغيب، وسيقرأ التاريخ والمستقبل، سيقرأ الخلْقَ ويتعرّف على الخالق، سيشاهد حاله ليقرأ مصيره، فلهذا ابتدأ بكلمة «اقرأ»، فسبحانَ الله العظيم الذي أنزل على عبده محمّدٍ هذا القرآن وابتدأه بهذه الآية: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فمَن أراد العلم واليقين فليسلم وجهه لله، ويقرأ هذه الحقيقة ولا يكابر، ثمّ لينطق بشهادة «ألا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله»، ثمّ ليعلم مرادَ الله منه من خلال قراءته وفهمه للقرآن والسنة الصحيحة، وليعمل بهما. وأوّل ذلك: أن يتطهّر، ويتوجّه للقبلة المشرّفة، ويصلّي لله تعالى شاكرًا أنْ هداه بعد أنْ كان في الظّلمات غارقًا.

والحمدُ لله ربّ العالمين

المصادر

- القرآن الكريم

الفهرس

تصدير 5

إهداء 9

شكر 11

المقدّمة 13

الفرصة 1: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ سورة البقرة 17

الفرصة 2: قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.....إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (64)﴾ سورة المائدة 19

الفرصة 3: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا

مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة61) 21

الفرصة 4: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67).....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(76)﴾ سورة البقرة 23

الفرصة 5: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)﴾ سورة البقرة 25

الفرصة 6، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7)﴾ سورة الجمعة 27

الفرصة 7، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)﴾ سورة البقرة 29

الفرصة 8، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)﴾ سورة البقرة 31

الفرصة 9، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183).... آخر الآيات﴾ سورة البقرة 33

الفرصة 10، قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(92)﴾ سورة آل عمران 35

الفرصة 11 : قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ

وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) ﴾ ..... والآية التي بعدها 37

الفرصة 12، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84)﴾ سورة النساء 41

الفرصة 13، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)﴾ سورة النساء 43

الفرصة 14، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107) ..... ﴾ وما بعدها 45

الفرصة 15، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ

لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)﴾سورة النساء 47

الفرصة 16: قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(3)﴾ سورة المائدة 49

الفرصة 17: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)﴾ سورة المائدة 51

الفرصة 18: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(107)﴾، إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)﴾ سورة الأعراف 53

الفرصة 19، قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(94)﴾ سورة يونس 57

الفرصة 20، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كلّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(12)﴾ سورة هود 59

الفرصة 21، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) .....﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ(49)﴾ سورة هود 61

الفرصة 22، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)﴾ سورة الإسراء 63

الفرصة 23، قال تعالى:﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)﴾ سورة الإسراء 65

الفرصة 24، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)﴾ سورة الإسراء 69

الفرصة25،قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(85)﴾ سورة الإسراء 71

الفرصة 26، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كلّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)﴾ سورة الإسراء 73

الفرصة 27 : قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)﴾ سورة الكهف 75

الفرصة28،قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا(9)﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25)﴾ سورة الكهف 77

الفرصة 29، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)﴾ سورة مريم 81

الفرصة 30، قال تعالى:﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)﴾ سورة مريم 87

الفرصة 31، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)﴾ سورة مريم 89

الفرصة 32، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)﴾ سورة طه 93

الفرصة 33، قال تعالى:﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)﴾ سورة الروم 97

الفرصة 34،قال تعالى:﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)﴾ سورة العنكبوت 99

الفرصة 35، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)﴾ سورة الأحزاب 107

الفرصة 36، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59)﴾ سورة الأحزاب 111

الفرصة 37، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4)﴾ سورة الأحقاف 113

الفرصة 38، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2)﴾ سورة القمر 117

الفرصة 39، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12)﴾ سورة الحشر 121

الفرصة40،قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾ سورة الصف 125

الفرصة41،قال تعالى في سورة ن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾، وقال أيضًا في سورة الأنبياء﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ 129

الفرصة42،قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)﴾ سورة عبس 135

الفرصة 43، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سورة القدر 137

الفرصة44،قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)﴾ سورة المسد 143

منْطقيّات لأهلِ العقول السّليمة المُنصفة 145

الخاتمة 149

المصادر 150

الفهرس 151

مكتبة
t.me/soramnqraa

44 فرصة

« فإن توصلنا من خلال القراءة المبسطة للقرآن، وفهمنا العام للغة العربية، ومن دون استعمال أي وسيلة أخرى غير هذه اللغة، إلى حقيقةٍ مفادها؛ أن هذا القرآن لا يمكن أن يقوله بشر، وإن كان هذا البشر مثل محمدٍ، الذي يصفونه بالرجل الذكي، فسنتوصل حينها، ومن خلال ذكرنا لأربع وأربعين استدلالاً منطقياً؛ يمثل كل واحدٍ منها فرصة كبيرة، إلى استنتاج مفاده:

أن هذا الكتاب المسمى القرآن نزل من عند الله تعالى على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وحينها نكون قد قدمنا لأي ملحدٍ :

فرصة ذهبية ليراجع إلحاده وفكره للحياة وللدين الاسلامي

ولأي متشكك :

ليؤمن ويثبت على إيمانه بنبوة محمد.

ولأي مؤمن : ليزداد إيماناً.

فمنهجنا المتبع إذن هو؛ أننا سنثبت أن محمداً رسول الله من خلال تدبر آياتٍ منتقاتٍ من القرآن؛ وذلك بتوظيف المنطق والعقل السليمين، دون تعصب أو تكلف، ومن خلال أدوات اللغة العربية، بأسلوبها العام غير العميق »

فارس النعيمي

للتواصل مع المؤلف :

Brightfutureofislam@gmail.com

E-Mail:dalailcentre@gmail.com جوال : ٠٥٣٩١٥٠٣٤٠